

الأُمالي

الجزء: ٣

السيد المرتضى

الكتاب: الأمالي
المؤلف: السيد المرتضى
الجزء: ٣
الوفاة: ٤٣٦
المجموعة: مصادر الحديث الشيعية - القسم العام
تحقيق: تصحيح وتعليق : الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٣٢٥ - ١٩٠٧ م
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
المصدر:
ملاحظات:

الفهرست

الصفحة	العنوان
٢	(المجلس الواحد والأربعون) تأويل قوله تعالى فأين يذهبون ان هو الا ذكر للعالمين الآية
٣	رد قوله المعتزلة في مسئلة ارادته تعالى القبائح
٤	عود إلى ذكر بعض محاسن شعر مروان بن أبي حفصة وغيره
٨	مفاكهة أدبية
١٤	(المجلس الثاني والأربعون الثالث) تأويل قوله تعالى: أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض الآية
١٤	تأويل قوله تعالى: ما كانوا يستطيعون السمع الآية
١٦	استرواح بذكر شئ من شعر مروان بن أبي حفصة وغيره
٢٥	(المجلس الثالث والأربعون) تأويل قوله تأويل: ما منعك ان لا تسجد إذ أمرتك الآية
٢٦	عود إلى ذكر طرف من شعر مروان بن أبي حفصة أيضا
٣٥	(المجلس الرابع والأربعون) تأويل قوله تعالى: نحن أعلم ما يستمعون به الآية
٣٦	تأويل قوله تعالى: ان تتبعون الا رجلا مسحورا
٣٨	استرواح بذكر بعض من المحاسن الشعرية
٤١	(المجلس الخامس والأربعون) تأويل قوله تعالى: كل شئ هالك الا وجهه الآية
٥٠	تأويل قوله تعالى: انما نطعمكم لوجه الله الآية ونحوها
٥٠	استرواح بذكر حكاية أدبية لمحمد بن يحيى الصولي وشئ من كلام البحري
٥٢	مفاكهة المكتفى بالله مع الصولي في محاسن الشيب ومدحه
٥٣	واقعة امرئ القيس مع قيصر الروم
٥٩	(المجلس السادس والأربعون) تأويل قوله تعالى: وإذا سئلك عبادي عني فاني قريب الآية
٦١	عود إلى ذكر الشيب وما تقوله العرب في ذمه
٦٣	قصة البيدق مع الرشيد
٦٣	قصة العتابي معه أيضا
٧٠	(المجلس السابع والأربعون) تأويل قوله تعالى: هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب الآية
٧٢	عود إلى ذم الشيب والتألم من فقد الشباب
٧٧	رد على الأمدي في انتقاده كلام البحري
٧٩	ذكر بعض مبتكرات من شعر ابن الرومي
٨٠	(المجلس الثامن والأربعون) تأويل قوله تعالى: ليس لك من الأمر شئ الآية
٨٢	تأويل خبر لا تناجشوا ولا تدابروا الحديث
٨٤	ذكر ما ورد في اللغة العربية من معاني العرض
٨٨	استرواح بذكر شئ من شعر قطري بن الفجاءة
٩١	(المجلس التاسع والأربعون) تأويل قوله تعالى: وقالت اليهود يد الله مغلولة الآية
٩٣	تأويل خبر لعن الله السارق يسرق البيضة الحديث
٩٥	ذكر معاني البيضة في كلام العرب والاستشهاد عليها

- ٩٩ استرواح بذكر حكاية لطيفة للأصمعي مع الرشيد
- ١٠٠ (المجلس الخمسون) تأويل قوله تعالى: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور
- ١٠١ منادمة الشعبي والأخطل في مجلس عبد الملك بن مروان
- ١٠٥ استطراد لذكر مرية أعشي باهلة وبلاغتها
- ١١٣ ذكر بعض كلام للأخطل في امتداحه لمعاوية
- ١١٤ (المجلس الواحد والخمسون) تأويل قوله تعالى: ربنا لا تزع قلوبنا بعد إذ هديتنا الآية
- ١١٦ استرواح بذكر قول الراعي في وصف الأثافي والرماد
- ١٢٥ (المجلس الثاني والخمسون) تأويل قوله تعالى: وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية
- ١٢٨ استرواح بذكر بعض كلام المتنبي وغيره
- ١٣١ ذكر طرف من محاسن شعر عمارة بن عقيل وغيره
- ١٣٤ (المجلس الثالث والخمسون) تأويل قوله تعالى: لئن بسطت إلى يدك لتقتلني الآية
- ١٣٥ شواهد إضافة المصدر إلى فاعله ومفعوو
- ١٣٨ تأويل خبر لا يموت لمؤمن ثلاث من الأولاد الحديث
- ١٣٨ تشبيه العرب قلة مكث الشيء بتحلة اليمين والاستشهاد عليه بكلامهم
- ١٤٢ (المجلس الرابع والخمسون) تأويل قوله تعالى: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك الآية
- ١٤٩ استرواح بذكر ما يختار من شعر الأحوص الأنصاري
- ١٥٥ (المجلس الخامس والخمسون) تأويل قوله تعالى: وعلم آدم الأسماء كلها الآية
- ١٥٦ تلخيص الجواب في هذا الموضوع
- ١٦١ اشكال غريب في الآية المذكورة والجواب عنه
- ١٦٢ استرواح بذكر شيء من محاسن شعر حسان وغيره
- ١٦٥ (المجلس السادس والخمسون) تأويل قوله تعالى: واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية
- ١٦٥ استطراد لذكر ما خوطب به صلى الله عليه وسلم والمقصود به أمته

(الجزء الثالث من كتاب)
أمالي السيد المرتضى
(الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضي الله عنه)
(في التفسير والحديث والأدب)
(الطبعة الأولى)
(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)
(على نفقة أحمد الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)
(حقوق الطبع محفوظة)
(صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه)
حضرة الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا منشورات مكتبة آية الله العظمى
المرعشي النجفي
قم - إيران ١٤٠٣ هـ ق

بسم الله الرحمن الرحيم

(مجلس آخر ٤١)

[تأويل آية]. إن سأل سائل عن قوله تعالى (فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين) إلى آخر الآية. فقال ما تأويل هذه الآية أوليس ظاهرها يقتضي أنا لانشاء شيئاً الا والله تعالى شاءه ولم يخص إيماننا من كفر ولا طاعة من معصية. الجواب قلنا الوجه المذكور في هذه الآية ان الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة لأنه تعالى قال (لمن شاء منكم أن يستقيم) ثم قال (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أي ما تشاؤون الاستقامة إلا والله تعالى يريد لها ونحن لا ننكر أن يريد الله تعالى الطاعات وإنما أنكرنا ارادته المعاصي وليس لهم أن يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومها كما أن السبب لا يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك أن الذي ذكره إنما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل. وقوله تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه وإذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على أنه لو كان للآية ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة على أنه تعالى لا يريد المعاصي ولا القبائح على أن مخالفينا في هذه المسألة لا يمكنهم حمل الآية على العموم

لأن العباد قد يشاؤون عندهم ما لا يشاء الله تعالى بان يريدوا الشيء ويعزموا عليه فلا يقع مانع ممتنع أو غيره وكذلك قد يريد النبي عليه الصلاة والسلام من الكفار الايمان وقد تعبدنا بان يريد من المقدم على القبيح تركه وإن كان تعالى عندهم لا يريد ذلك إذا كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الآية فإذا جاز لهم ذلك بالشبهة

جاز لنا مثله بالحجة وتجري هذه الآية مجري قوله تعالى (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) وقوله تعالى (وما يذكرون إلا أن يشاء الله) في تعلق الكلام بما قبله. فان قالوا فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم من وجه آخر وهو انه عز و جل قال (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) وذلك يقتضي انه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها لأن أن الخفيفة إذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهذا يوجب انه يشاء أفعال العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون إليه من أنه إنما يريد الطاعات في حال الامر. قلنا ليس في ظاهر الآية إنا لا نشاء إلا ما شاءه الله تعالى في حال مشيئتنا كما ظننتم وإنما يقتضي حصول مشيئته لما نشأه من

الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر ويجري ذلك مجري قول القائل ما يدخل زيد هذه الدار إلا أن يدخلها عمرو ونحن نعلم أنه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولهما في حالة واحدة بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمر ويتلوه دخول زيد وان الخفيفة وإن كانت للاستقبال على ما ذكر فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها لأن تقدير الكلام وما تشاؤون الطاعات إلا بعد أن يشاء الله تعالى ومشيئته تعالى قد كانت لها حال الاستقبال وقد ذهب أبو علي الجبائي إلى أنه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال وإن كان قد أرادها في حال الامر كما يصح أن يأمر بها أمرا بعد أمر قال لأنه قد يصح أن يتعلق بإرادته ذلك منا بعد الامر وفي حال الفعل مصلحة ويعلم تعالى انا نكون متى علمنا ذلك كنا إلى فعل الطاعات أقرب وعلى هذا المذهب لا يعترض بما ذكره . والجواب الأول واضح إذا لم نذهب إلى مذهب أبي علي في هذا الباب على أن اقتضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم لأن الكلام إذا اقتضى حدوث المشيئة وأبطل استقبالها بل قول من قال منهم انه يريد لنفسه أو يريد بإرادة قديمة وصح ما نقوله من أن ارادته محدثة مجددة. ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع حملنا إياها على العموم من غير أن نخصصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون المعنى وما تشاؤون شيئا من فعالكم إلا أن يشاء الله تمكينكم من مشيئتكم واقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها وتكون الفائدة في ذلك الاخبار عن الافتقار إلى الله تعالى وانه لا قدرة

للعبد على ما لم يقدره الله تعالى عز وجل وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه لأن ما تتعلق به المشيئة في الآية محذوف غير مذكور وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى (إلا أن يشاء الله) بالأفعال دون تعلقه بالقدرة لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور وكل هذا واضح بحمد الله. ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فمما يختار قوله من قصيدة أولها
طرقتك زائرة فحي خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلا لها
يقول فيها

مالت بقلبك فاستقاد ومثلها * قاد القلوب إلى الصبا فأمالها
فكأنما طرقت بنفحة روضة * سحت بها ديم الربيع طلالها
باتت تسائل في المنام معرسا * بالبيد أشعث لا يمل سؤالها
في فتية هجعوا غرارا بعدما * سئموا مراعاة السرى ومطالها
[قال المرتضى] رضي الله عنه - المراعاة - هي تحريك الرأس في السير من النوم فكأن حشو ثيابهم هندية * نحلت وأغفلت العيون صقالها
أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف فإنه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب (١) وقد قال الناس في طيف الخيال فأكثروا. وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم إلى معني كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله

(١) قوله فإنه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب الخ. قلت أما العلماء المتقدمون فإنهم استحسوها روى أن مروان بن أبي حفصة جاء إلى حلقة يونس فسلم ثم قال أيكم يونس فأومأوا له إليه فقال له أصلحك الله إني أرى قوما يقولون الشعر لأن يكشف أحدهم سواته ثم يمشى كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر وقد قلت شعرا أعرضه عليك فإن كان جيدا أظهرته وإن كان رديئا سترته فأنشده * طرقتك زائرة فحي خيالها * الخ فقال له يونس يا هذا اذهب فإظهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله * رحلت سمية غدوة أجمالها * فقال له مروان سررتني وسؤتني فأما الذي سررتني به فارتضاؤك الشعر وأما الذي ساءني فتقديمك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله فقال إنما قدمتك عليه في تلك القصيدة لا في شعره كله لأنه قال فيها * فأصاب حبة قلبه وطحالها * والطحال لا يدخل في شيء إلا أفسده وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه. وقصيدة مروان هذه مدح بها المهدي ولما أنشده إياها زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجابا بما سمع ثم قال كم هي قال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت أول مائة ألف درهم أعطيتها شاعر في أيام بني العباس وهذا دليل على حسنتها

أنى سربت وكنت غير سروب * وتقرب الأحلام غير قريب (١)
ما تمنعني يقظي فقد تؤتينه * في النوم غير مصدر محسوب
كان المنى بلقائها فلقيتها * فلهوت من لهو امرئ مكذوب
وقد أحسن جرير في قوله
أتنسى إذ تود عنا سليمي * بفرع بشامة سقي البشام
بنفسي من تجنبه عزيز * علي ومن زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لا أراه * ويطرقني إذا هجع النيام
وهذه الأبيات وان خلت من معنى في ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب
. ولأبي عبادة البحراري في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر فإنه تغلغل

(١) قوله سربت - السارب - الذهاب على وجهه في الأرض ورواه ابن دريد سربت
بباء موحدة لقوله وكنت غير سروب ومن رواه سريت بالياء باثنتين فمعناه كيف سريت ليلا و أنت لا تسرين
نهارا

في أوصافه واهتدي من معانيه إلي ما لا يوجد لغيره وكان مشغوفا بتكرار القول فيه لهجا
بإبدائه وإعادته وان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يجهل فضلها ومحاسن لا يبلغ شأوها
فمما لأبي تمام قوله

زار الخيال لها لا بل أزاركه * فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم
ظبي تقنصته لما نصبت له * من آخر الليل أشراكا من الحلم
ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم * باق وإن كان مشغولا من السقم
وقوله

عادك الزور ليلة الرمل من رملة * بين الحمى وبين المطال
ثم ما زارك الخيال ولكنك * بالفكر زرت طيف الخيال
وقوله

الليالي أحفي بقلبي إذا ما * جرحته النوى من الأيام
يا لها ليلة تنزهت الأرواح * فيها سرا من الأجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب * غير أنا في دعوة الأحلام
فأما البحثري فقوله في هذا المعنى أكثر من أن يذكر جميعه ههنا غير أنا نشير إلى
نادرة فمن ذلك قوله

فلا وصل إلا أن يطيف خيالها * بنا تحت جؤشوش من الليل أسفع
ألمت بنا بعد الهدو فسامحت * بوصل متى نطلبه في الجد تمنع
وما برحت حتى مضى الليل وانقضى * وأعجلها داعي الصباح الملمع
فولت كأن البين يخلج شخصها * أو ان تولت من حشاي وأضلعي
ورب لقاء لم يؤمل وفرقة * لأسماء لم تحذر ولم تتوقع

أراني لا أنفك في كل ليلة * تعاود فيها المالكية مضجعي
أسر بقرب من ملم مسلم * وأشجى بين من حبيب مودع
فكان لنا بعد النوى من تفرق * ترجيه أحلام الكرى بالتجمع
وقوله

وإني وإن ضنت علي بודהا * لأرتاح منها للخيال المؤرق
يعز علي الواشين لو يعلمونها * ليال لنا نزار فيها ونلتقي
فكم غلة للشوق أطفأت حرها * بطيف متى ما يطرق الليل يطرق
أضم عليه جفن عيني تعلقا * به عند أجلاء النعاس المرنق
وقوله

بلى وخيال من أثيلة كلما * تأوهمت من وجد تعرض يطمع
إذا زورة منه تقضت مع الكرى * تنبعت من وجد له أتفزع
ترى مقلتي ما لا ترى في لقائه * وتسمع أذني رجع ما ليس تسمع
ويكفيك من حق تخيل باطل * ترد به نفس اللهيف فترجع
وقوله

إذا ما الكرى أهدي إلي خياله * شفى قربه التبريح أو نفع الصدى
إذا انتزعته من يدي انتباهة * عددت حبيبا راح مني وإعتدا
ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا * تعذب أيقاظا وتنعم هجدا
وقوله

فما نلتقي الا على حلم هاجد * تحل لنا جدواك وهي حرام

إذا ما تباذلنا النفائس خلطنا * من الجد أيقاظا ونحن نيام
وقوله

وليلة هو منا على العيس أرسلت * بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي * بعطفي غزال بت وهنا أغازله
وقوله

أمنك تأوب الطيف الطروب * حبيب جاء يهدى من حبيب
تخطي رقبة الواشين كرها * وبعد مسافة الخرق المجوب
يكاذبني وأصدقه رداء * ومن كلف مصادقة الكذوب
وقوله

ما تقضى لبانة عند لبنى * والمعني بالغانيات معني
هجرتنا يقظى وكادت على مذ * هبها في الصدود تهجر وسني
بعد لأي وقد تعرض منها * طائف عرجت على الركب وهنا
[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه. ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي
مع ميله إلى البحري وانحطاطه في شعبه واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ
وزلل يزعم أن البحري أخطأ في قوله
هجرتنا يقظى وكادت على مذ * هبها في الصدود تهجر وسني
قال لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها يقظى كانت أو وسني قال ولكن الجيد في هذا
المعني قوله

أرد دونك يقظانا ويأذن لي * عليك سكر الهوى إن جئت وسنانا
قال والذي أوقع البحري في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم

ما تمنعي يقظي فقد توتينه * في النوم غير مصدر محسوب
وكان الأجود أن يقول ما تمنعي في اليقظة فقد توتينه في النوم أي ما تمنعينه في يقظتي
فقد توتينه في حال نومي حتى يكون النوم واليقظة منسوبين إليه لأن خيال المحبوب
يتمثل في حال نومه ويقظته جميعا قال إلا أنه يتسع من التأويل في هذا لقيس ما لا يتسع
للبحثري لأن قيسا قال فقد توتينه في النوم ولم يقل نائمة وقد يجوز أن يحمل على أنه
أراد ما تمنعي يقظي وأنا يقظان فقد توتينه في النوم أي في نومي ولا يسوغ مثل هذا
في بيت البحثري لأنه قال وسني ولم يقل في الوسن. [قال الشريف] رضي الله عنه
وقد يمكن من التأويل للبحثري ما أمكن مثله لقيس لكن الآمدي قد ذهب عن ذلك لأن
البحثري لما قال وسني دل على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس
فيها في النوم بالعادة كما أن الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة فقوله وسني ينبي
عن كونه هو أيضا نائما وإنما أراد المقابلة في زنة اللفظ بين يقظي ووسني. وقوله يقظي
متى لم تحمل أيضا على هذا المعنى لم يصح لأنه لا بد أن يريد بذلك هجرتنا في أحوال
اليقظة ويكون معنى يقظي يتعدى إليه ألا ترى أن الآمدي حمل قول قيس يقظي على
معنى وأنا يقظان وإن لم يبين الوجه فيه فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحثري
. وقوله وسني ويقظي مثل قول قيس يقظي ولو أمكن قيسا وزن الشعر من أن يقول
وسني في مقابلة يقظي لقاله وما عدل عنه إلى النوم لأنه لم يكن عليه في وسني إلا ما عليه
في يقظي وما يتأول له في أحد الأمرين يتأول له في الآخر. [قال الشريف المرتضى]
رضي الله عنه ولى في الخيال وطروقه معنى ما علمت أنه سبق إليه من جملة قصيدة
وزور تخطي جنوب الملا * فناديت أهلا بذا الزائر
أتاني هدوا وعين الرقيب * مطروفة بالكرى العامري
فأعجب به يسعف الهاجعين * وتحرمه مقلة الساهر
وعهدي بتمويه عين المحب * ينم على قلبه الطائر

فما التقينا برغم الرقا * موه قلبي على ناظري
ومعني البيت الآخر أن الأحلام إنما هي اعتقادات تخيل في القلب لا حقيقة لأكثرها
لأن الانسان يعتقد أنه رأى لما لا يراه على الحقيقة ويدرك لما ليس مدركه على الحقيقة
فالقلب يخيل في النوم للعين ما لا حقيقة له كما أن العين تخيل في كثير من الأحوال
للقلب

ما لا حقيقة له. فأما قول مروان * فكأنما طرقت بنفحة روضة * البيت فيشبه أن
يكون مأخوذاً من قول نهشل بن جرى قال
طرقت أسيماء الرحال ودونها * بيتان من ليل التمام الأسود
ومفاوز وصل الفلاة جنوبها * بجنوب أخرى غير أن لم تعقد
رمل إذا أيدي الركاب قطعنه * قرعت منا سمها بقف قرد
فكأن ريح لطيمة هندية * وذكي جادي بنصع مجسد
وندى خزامى الجو جو سويقة * طرق الخيال به بعيد المرقد
أو من قول الآخر

طرقتك زينب والمزار بعيد * بمنى ونحن معرسون هجود
وكأنما طرقت برياً روضة * أنف يسحسح مزنها ويجود
وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جداً. فأما قوله - باتت تسائل في المنام
معرساً - البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس في وصف قلة النوم ومواصلة السري
والأدلاج وشعث السارين فأكثرُوا. فمن أحسن ما قيل في ذلك قول لبيد
ومجود من صبايات الكرى * عاطف النمرك صدق المبتذل (١)

(١) قوله - ومجود من صبايات الكرى - الخ الواو وأورب والمجود الذي جاده النعاس
وألح عليه حتى أخذ فنام من الجود بالفتح وهو المطر الغزير يقال أرض مجودة أي مغيثة
وجيدت الأرض إذا أمطرت جوداً. وقال اعرابي المجود الذي قد جاده العطش أي
غلبه كذا في شرح أبي الحسن الطوسي وهذا لا يناسب لقوله صبايات الكرى فان الكرى
النوم وصبايته بقيته كذا في شرح الشواهد للبغدادي. وقال في اللسان ويقال للذي غلبه
النوم مجود كأن النوم جاده أي مطره قال والمجود الذي يجهد من النعاس وغيره عن
الليثاني وبه فسر قول لبيد وأنشد البيت قال أي هو صابر على الفراش الممهد وعن
الوطء يعني انه عطف نمرقة ووضعها تحت رأسه وقيل معنى قوله ومجود من صبايات
الكرى قيل معناه شيق وقال الأصمعي معناه صب عليه من جود المطر وهو الكثير
منه والجود النعاس وجاده النعاس غلبه. وقوله - عاطف النمرك - صفة مجود والإضافة
لفظية والنمرقة مثلثة النون الوسادة والطنفة فوق الرحل وهي المراد هنا. وقوله -
صدق المبتذل - بفتح الصاد أي جلد قوي لا يغير عند ابتذاله نفسه ولا يسقط ولا يجوز
أن يقال صدق المبتذل إلا إذا امتهن ووجد صادق المهنة يوجد عنده ما يحب ويراد

قال هجدنا فقد طال السري * قدرنا إن خنى الدهر غفل (١)
قلما عرس حتى هجته * بالتباشير من الصبح الأول (٢)

(١) - قوله - هجدنا - الخ هو متعلق رب والتهجيد من الأضداد يقال هجده إذا نومه أي دعنا ننام وهو المراد هنا وجده إذا أيقضه والفاء للتعليل - والسري - بالضم سير عامة الليل. وقوله - وقدرنا - أي قدرنا على ورود الماء وذلك إذا قربوا منه وفي القاموس وبتنا ليلة قادرة هينة السير لا تعب فيها - والخنى - بفتح المعجمة والقصر الآفة والفساد أي ان غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا وقيل قدرنا أي على التهجيد ويقيل على السير (٢) قوله - قلما عرس - الخ ما المتصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل وجاعلة إياها بمنزلة ما النافية في الأغلب وهنا لا ثبات القلة وما تتصل بأفعال ثلاثة فتكفها عن طلب الفاعل وهي قلما وطالما وكثر ما وينبغي ان تتصل بالأولين كتابة والتعريس النزول في آخر الليل للاستراحة والنوم ومثله الأعراس - وهجته - أيقظته من النوم وهاج يهيج يجيء لازما ومتعديا يقال هاج إذا ثار وهجته إذا أثرت - وحتى - هنا حرف جر بمعنى الا الاستثنائية أي ما عرس إلا أيقظته أي نام قليلا ثم أيقظته وأكثر دخولها على المضارع كقوله

ليس العطاء من الفضول سماحة * حتى تجود وما لديك قليل
وقوله - بالتباشير - أي بظهورها والتباشير أوائل الصبح وهو جمع تبشير ولا يستعمل الا جمعا كذا عبر البغدادي ولفظ شارح القاموس لا واحد له - والأول - صفة التباشير وهو بضم الهمزة وفتح الواو جمع أولى مؤنث الأول كالكبر جمع كبري وقد جاء هذا المصراع الثاني في شعر النابغة الجعدي وهو
وشمول قهوه باكرتها * في التباشير من الصبح الأول

يلمس الأحلاس في منزله * بيديه كاليهودي المصل (١)
يتمارى في الذي قلت له * ولقد يسمع قولي حيهل (٢)
أو من قول ذي الرمة

(١) - قوله - يلمس الأحلاس - فاعل يلمس ضمير المجود واللمس الطلب وفعله من بابي قتل وضرب والأحلاس جمع جلس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظاهر البعير تحت رحله أي يطلبها بيديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس. وقوله - كاليهودي المصل - أي كأنه يهودي يصلي في جانب يسجد على جبينه واليهودي يسجد على شق وجهه وأصل ذلك أنهم لما نتق الجبل فوقهم قيل لهم إما أن تسجدوا وإما أن يلقي عليكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل فصار عندهم سنة إلى اليوم (٢) قوله - يتمارى في الذي قلت له - الخ التمارى في الشئ والامتراء فيه المجادلة والشك فيه يقال ما ريت الرجل أماريه مرأ ومماراة إذا جادلتها والمرية الشك. قال الطوسي يقول قال له الصبح النجاء النجاء قد أصبحت ونحو هذا من الكلام - وحيهل - أي أسرع وأعجل وحيهل اسم فعل قال زكريا الأحمر في حيهل ثلاث لغات يقال حيهل بفلان بجزم اللام وحيهل بفلان بحركة اللام وحيهلا بفلان بالتنوين وقد يقولون من غير هل من ذلك حي على الصلاة وقال ابن عصفور إن حيهلا مركبة من حي وهلا إلا أن ألف هلا تحذف في بعض اللغات تخفيفا

وليل كأثناء الزويزي جبهته * بأربعة والشخص في العين واحد
- والزويزي - هو الطيلسان. وقد روى أيضا كجلباب العروس أدرعته وكل ذلك
وصف له بالسواد لان الطيلسان أسود. وجلبات العروس أخضر والعرب تجمع
بين الخضرة والسواد

أحم علافي وأبيض صارم * وأعيس مهري وأشعث ماجد
أخو شقة جاب الفلاة بنفسه * على الهول حتى طوحته المطارد
وأشعث مثل السيف قد لاح جسمه * وجيف المهارى والهموم الأبعاد
سقاء الكرى كأس النعاس فرأسه * لدين الكرى من آخر الليل ساجد
أقمت له صدر المطي فما درى * أجائرة أعناقها أم قواصد
ترى الناشئ الغرير يضحى كأنه * على الرحل مما منه السير عاصد
ومن ذلك قول أبي حية النميري
وأغيد من طول السرى برحت به * أفانين نهاض على الأين مرجم
سريت به حتى إذا ما تمزقت * تو إلى الدجى عن واضح اللون معلم
أنحنا فلما أن جرت في دماغه * وعينيه كأس النوم قلت له قم
فما قام الا بين أيد تقيمه * كما عطف ريح الصبا خوط سأسم
خطا الكره مغلوبا كأن لسانه * لما رد من رجع لسان المبلسم
وود بوسطي الخمس منه لو اننا * رحلنا وقلنا في المناخ له نم

(مجلس آخر ٤٢)

[تأويل آية]. إن سأل سائل عن قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) إلى آخر الآية. فقال ما معنى اختصاص الأرض بالذكر وهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفى الأولياء عنهم وقد نجد أهل الكفر يتولى بعضهم بعضا وينصرونهم ويحسونهم من المكاره وكيف نفى استطاعتهم للسمع والابصار وأكثرهم قد كان يسمع باذنه ويرى بعينه. الجواب قلنا أما الوجه في اختصاص الأرض بالذكر فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب فكأنه تعالى نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وإن جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم كما أنها تحجز عن كثير من أحوال البشر من المكاره لأن معاقل الأرض هي التي يهرب إليها البشر من المكاره ويلجئون بها إلى الاعتصام بها عند المخاوف فإذا نفى تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه. وأما قوله تعالى (وما كان لهم من دون الله من أولياء) فمعناه أنه لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله تعالى وعقابه لهم في الآخرة ولا مما يريد أيضا إيقاعه بهم

في الدنيا وإن كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن أرادهم بسوء وقد يجوز أن يكون ذلك أيضا بمعنى الأمر وإن كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير وليس لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب أن يرجعوا إليه في معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره. فأما قوله عز وجل (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ففيه وجوه. أحدها أن يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عنادا للحق وذهابا عن سبيله فأسقط الباء من كلامه وذلك جائز كما جاز في قولهم لأجزينك بما عملت

ولأجزينك بما عملت ولأحدثنك بما عملت ولأحدثنك ما عملت وكما قال الشاعر

نغالي اللحم للأضياف نيا * ونبذله إذا نضج القدور
أراد نغالي باللحم. والوجه الثاني انهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهيتهم
تذكرها

وتفهمها جرى مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان أن ينظر
لشدة

عداوته إلى فلان وما يقدر على أن يكلمه وكما نقول لمن عهدنا منه للعناد والاستثقال
لاستماع الحجج والبيانات ما تستطيع أن يسمع الحق وما يطيق أن يذكر له ذلك وكما
قال الأعشى

ودع هريرة إن الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل
ونحن نعلم أنه قادر على الوداع وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهة والاستثقال
. ومعنى وما كانوا يبصرون أي ان إبصارهم لم يكن نافعا لهم ولا مجديا عليهم مع
الاعراض

عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها فلما انتفعت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم
الإبصار نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله مالك لا تبصر ولا تسمع ولا
تعقل وما أشبه ذلك. والوجه الثالث أن يكون معنى نفى السمع والبصر راجعا إلي
آلهتهم لا إليهم وتقدير الكلام أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض يضاعف لهم
العذاب ثم قال مخبرا عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا
الوجه مروى عن ابن عباس رضي الله عنه وفيه أدنى بعد. ويمكن في الآية وجه
رابع وهو أن يكون ما في قوله (ما كانوا يستطيعون السمع) ليست للنفي بل تجري
مجرى قولهم لأواصلنك ملاح نجم ولأقيمن على مودتك ما طلعت شمس ويكون المعنى
ان العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أي
انهم معذبون ما كانوا أحياء. فان قيل كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع
والإبصار وقد يكون حيا من لا يكون كذلك. قلنا للعرف في مثل هذا عادة لأنهم
يقولون والله لا كلمت فلانا ما نظرت عيني ومشيت قدمي وهم يريدون ما بقيت وحييت
لان الأغلب من أحوال الحي أن تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الأغلب كالواجب ومن
ذلك قول الشاعر

وما أنس من شئ تقادم عهده * فلست بناس ما هدت قدمي نعلي
عشية قالت والدموع بعينها * هنيئا لقلب عنك لم يسله مسلي
وإنما أراد أني لا أنسي ذلك ما حييت وكذلك لا يمتنع أن يعلق على هذا المذهب دوام
العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والابصار ويعود المعني إلى تعلقه ببقائهم وكونهم
أحياء والمرجع في ذلك إلى التأييد لأنه إذا علق العذاب ببقائهم وأحيائهم علمنا أن
الآخرة لا موت فيها ولا خروج عن الحياة وعلمنا تأييد العذاب. ونعود إلى ما كنا
شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان فمما يختار له قوله من القصيدة التي قد مضى
أولها وتكلمنا عليها

وضعوا الخدود لدى سواهم جنح * تشكو كلوم صفاحها وكمالها
طلبت أمير المؤمنين فواصلت * بعد السرى بغدوها آصالها
نزعت إليك صواديا فتقاذفت * تطوى الفلاة حزونها ورمالها
يتبعن ناجية تهز مراحها * بعد النحول تليلها وقذالها
هو جاء تدرع الربا وتشقها * شق الشموس إذا تراع جلالها
تنجو إذا رفع القطيع كما نجت * خر جاء بادرت الظلام رثالها
كالقوس ساهمة أتنك وقد ترى * كالبرج تملأ رحلها وحبالها
وهذه الأبيات في وصف الرواحل بالسرعة والتحول جيدة الألفاظ مطردة النسج
وقد سبق الناس في هذا المعنى إلى ضروب من الاحسان فمن ذلك قول الأخطل
بخصوص كإعطال القسي تقلقلت * أجنتها من شقة ودؤب

(١) - إعطال القسي - التي لا أوتار عليها - وتقلقلت - تحركت في بطونها من الدأب
والسير - وأجنتها - جمع جنين

إذا معجل غادره عند منزل * أتيح لجواب الفلاة كسوب (١)
وهن بنا عوج كأن عيونها * بقايا قلات قلصت لنضوب (٢)
مسانيف يطويها مع القيظ والسري * تكاليف طلاع النجاد ركوب
قديم ترى الأصواء فيه كأنها * رجال قيام عصبوا بسبب (٣)
يعمن بنا عوم السفين إذا انجلت * سحابة وضاح السراب خبوب
وقال مسلم بن الوليد الأنصاري
إلى الامام تهادينا بأرحلنا * خلق من الريح في أشباح ظلمان
كأن إفلاتها والفجر يأخذها * إفلاة صادرة عن قوس حسان
. وقال بشار
وإذا المطي سبحن في أعطافه * فات المطي بكاهل وتليل
فكأنه والناعجات يردنه * قدح يطلع من قداح مجيل
ولبعض الحارثيين
نهش الهجائر والظهائر لحمها * حتى تحدد لحمها المتضاهر

-
- (١) - المعجل - الجنين الذي يولد لغير تمام - وأتيح - قدر - وجواب - الفلاة - الذئب. يقول ذا رمت بالمعجل صادفه الذئب
(٢) - القلاة - جمع قلت وهي النقرة في الجبل تمسك الماء - وقلصت - أي غارت - والنضوب - ذهاب الماء. شبه عظم العين بالصخرة في الصلابة وبقية العين بما بقي من الماء في القلت
(٣) - الأصواء - جمع صوى وصوى جمع صوة وهي حجارة تنصب ليهتدي بها. شبه الصوى وقد جللها السراب برجال قيام عصبوا بالسبب جمع سب وهي شقة كتان رقيقة

حرف تناهبها النجاء قلائص * مما تنجل شذقم أو ذاعر
صبر إذا عطفت سوافها البرى * سمعت لهن كشاكش وجراجر
ويخلن من عز النفوس وجدها * جنا وهن إذا اخترن أبا عر
أما إذا ما قبلت فكأنها * ذعر تهادتها الفلاة نوافر
أما إذا ما أعرضت فكأنها * كذر توردن النطاف صوادر
إما إذا ما أبركت فكأنها * صرح مشيدة وهن ضوامر
[قال الشريف] رضي الله عنه. وإني لأستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف الناقة
بالسرعة

كأن يديها إذا أرقلت * وقد جرن ثم إهتدين السبيلا
يدا سابح خر في غمرة * وقد شارف الموت إلا قليلا (١)
إذا أقبلت قلت مشحونة * أطاعت لها الريح قلعا جفولا (٢)
وإن أدبرت قلت مذعورة * من الربد تتبع هيقا ذمولا (٣)

(١) قوله - يدا سابح - الخ يروي
يدا عائم خر في غمرة * قد أدركه الموت إلا قليلا
يقول كان يدي هذه الناقة وقت كلال غيرها من الإبل ولزومهن المحجة يدا سابح فهو
أشد لتحريكه يديه مخافة على نفسه
(٢) المشحونة - المملوأة - . شبهها بسفينة مملوأة لأنه أقوم لسيورها وأعدل - والقلع -
الشراع - والجفول - التي تجفل أي تسرع
(٣) قوله وان أدبرت الخ يروي
إذا أقبلت قلت مذعورة * من الرمد تلحق هيقا ذمولا
ويروي من الربد كما في الأصل وهو جمع ربداء وجعلها مذعورة لأنه أشد لسيورها
- والرمد - النعام وهي الربد أيضا - والهيقي - ذكر النعام وهي المنكسفة اللون تعلو
سوادها كدرة والربد سواد يكسف الوجه ويغيره يقال لأربدن وجه والهيقي الطويل
والأنثي هيقة وهذه الرواية التي في الأصل منكسة فقدم آخرها على أولها وحذف
من بينها أربعة أبيات وهي من قصيدة مشهورة أولها
هجرت امامة هجرا طويلا * وحملك النأي عبا ثقيلا
إلى أن قال

إذا أقبلت قلت مذعورة * من الرمد تلحق هيقا ذمولا
وان أدبرت قلت مشحونة * أطاع لها الريح قلعا جفولا
وان أعرضت حار فيها البصير * ما لا يكلفه أن يقيلا
يدا سرحا مائرا ضبعها * تسوم وتقدم رجلا زجولا
وعوجا تناطحن تحت المطا * وتهدي بهن مشاشا كهولا
تعز المطي جماع الطريق * إذا أدلج القوم ليلا طويلا
كأن يديها إذا أرقلت * وقد جرن ثم إهتدين السبيلا
يدا عائم خر في غمرة * إلي آخر القصيدة

ومعني قوله

- وقد جرن ثم إهتدين السبيلا - يعني المطايا يقول كن نشيطات يمرحن فلا يلزمن لقم الطريق بل يأخذن يمينا وشمالا فلما عضهن الكلال استقمن على المحجة فكأنه وصف ناقتة ببقاء النشاط مع كلال المطي وكني عن الكلال بلزوم جادة الطريق حتى تنكبها. وهذه كناية فصيحة مليحة ومثله قول الآخر كأن يديها حين جد نجاؤها * يدا سابح في غمرة يتذرع ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ كأن ذراعيها ذراعا مدلة * بعيد السباب حاولت أن تعذرا ممجدة الأعراق قال ابن ضرة * عليها كلاما جار فيه وأهجرا

شبه ذراعيها وهي شبه ذراعيها وهي تتذرع في سيرها بذراعي امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها

وقد حكى عنها ابن ضرتهما كلاماً أهجر فيه أي أفحش فهي ترفع يديها وتضعهما تعتذر وتحلف وتنضح عن نفسها. وقد قيل إن معنى مدلة أنها تدل بحسن ذراعيها فهي تدمن اظهارهما لترى حسنهما. وقوله - بعيد السباب - أي في عقب المسابة قامت تعتذر إلى الناس وقوم يروونه بعيد الشباب ومعنى هذه الرواية انها نصف من النساء فهي أقوم بحجتها من الحادثة الغرة ويشهد لهذه الرواية قول الآخر كأن يديها حين يقلق ضررها * يدا نصف غيري تعذر من جرم وقوله - حين يقلق ضررها - سر وفائدة لأن الضفر هو الاتساع وإنما تقلق إذا جهدها السير فضمرت فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال. ومثله كأن ذراعيها ذراعاً بديّة * مفجعة لاقت ضرائر عن عفر سمعن لها واستعجلت بكلامها * فلا شيء يفرى باليدين كما تفرى ويقاربه قول الآخر

ألا هل تبلغنيهم * على اللأواء والظنه
وآة الحصى المعزا * في أخفافها رنه
إذا ما عسفت قلت * حماة فأضحت كنه

وممن شبه سرعة أيدي الإبل بأيدي النوائح كعب بن زهير فقال كأن أوب ذراعيها إذا عرقت * وقد تلفع بالقور العساquil وقال للقوم حاديهم وقد جعلت * ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا شد النهار ذراعاً عيطل نصف * قامت فجأوبها نكد مثاكيل نواحة رخوة الضبعين ليس لها * لما نعي بكرها الناعون معقول - العساquil - أول السراب ولا واحد لها من لفظها. وأخبر ان ناقتة في شدة الحر واتقاد

الظهيرة تمرح في سيرها وتذرع يديها وشبه ذراعيها بذراعي امرأة نصف تنوح على ابنها
وقد نعي إليها فهي تشير يديها وتوالي تحريكهما - والعيطل - الطويلة العنق وجعلها
نصفا لأنها قد كادت تيأس من الولد فهي أشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه - والقور -
جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل وأراد أن يقول كما تلفعت القور بالعساquil
فلم يمكنه فقلب. ومثله

وكأنما رفعت يدي نواحة * شمطاء قامت غير ذات خمار
وإنما خص الشمطاء لما ذكرناه من اليأس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم
ولا شمطاء لم يترك شقاها * لها من تسعة إلا جننا
وقد قيل في بيت عمرو بأنه شبه الناقة بشمطاء لما على رأسها من اللغام. ومثل ما تقدم
من المعاني قول الشاعر

يا ليت شعري والمني لا تنفع * هل أغدون يوما وأمري مجمع
وتحت رحلي زفيان ميلع * كأنها نائحة تفجع
تبكي لميت وسواها المجمع

- الزفيان - الناقة الخفيفة - والميلع - السريعة. وشبه رجع يديها في السير ونشاطها
بيدي نائحة تنوح لقوم على ميتهم بأجرة فهي تزيد في الإشارة يديها ليري مكانها
. ومثله بعينه قول ذي الرمة

مجانيق تضحى وهي عوج كأنها * بجوز الفلا مستأجرات نوائح
- المجانيق - اللواتي ضمرن بعد سمن وخص المستأجرات من النوائح للمعنى الذي
ذكرناه. وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى
كأن أوب يديها حين أعجلها * أوب المراح وقد نادوا بترحال
مقط الكرين على منكوسة زلق * في ظهر حنانة النيرين مغوال

معنى - أوب ذراعيها - أي رجعهما - وأوب المراح - إذا راح القوم عازب أموالهم ليرحلوا. وقد روى أوب المراح بالكسر ومعناه رجع المراح - والنشاط. والمقط - اللعب بالكرة - والكرين - جمع كرة - والمنكوسة - الأرض البراح التي لا شئ فيها - والزلق -

المستوية من الأرض - والحنانة - الريح - والنيران - جانبا هذه الأرض - ومغوال - قيل إنه

من صفات الريح وقيل من صفات الأرض وإن كان من صفات الريح فمعناه ان الريح تغول الأرض بأسرها أي يملأها وإذا كان للأرض فالمعنى انها تغول من سلكها أي تهلكه. وتلخيص معنى البيت انه شبه يدي ناقتة بيدي ضارب بكرة في الأرض الواسعة في يوم ريح عاصف وهذا من دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغة. ومثل بيتي الشماخ قول المسيب بن علس
مرحت يداها للنجاء كأنما * تكرو بكفي مآقط في قاع (١)

(١) قوله - تكرو بكفي مآقط - الخ. رواية المفضل
مرحت يداها للنجاء كأنما * تكروا بكفي لالع في صاع
قال ابن الأنباري - النجاء - السرعة يمد ويقصر - وتكرو - كأنما تلعب بالكرة يقال قد كرى يكرى إذا ضرب بالكرة - والصاع - منهبط من الأرض له ما يحفه كهيئة الجفنة . ويروى - بكفي مآقط في صاع - الصاع موضع تكلسه وتلعب فيه بالكرة - والمآقط - الذي يكرى بالكرة يضرب بها الأرض ترتفع إليه. قال أحمد قوله في صاع أراد بصاع وهو الصولجان الذي يلعب به الغلمان أراد بصاع صائع لأنه يعطف للضرب به لتصاع الكرة به فكان الصولجان هو يصوعها. وهذان البيتان من قصيدة مفضلية روى أن أبا جعفر المنصور مر بالمهدي ابنه وهو ينشد المفضل هذه القصيدة فلم يزل واقفا من حيث لا يشعر به حتى استوفى سماعها ثم صار وأمر باحضارهما فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه إياها وقال له لو عمدت إلى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك صوابا ففعل المفضل وعدد القصيدة ٢٦ بيتا وأولها
أرحلت من سلمى بغير متاع * قبل العطاس ورعتها بوداع
عن غير مقلية وإن حبالها * ليس بأرمام ولا أقطاع
إذ تستبيك باصليتي ناعم * قامت لتفتله بغير قناع
ومهي يرف كأنه إذ ذفته * عانية شجت بماء يراع
أو صوب سارية أدريته الصبا * بيزيل أزهر مدمج بسياح
فرايت أن الحلم مجتنب الصبا * فصحوت بعد تشوق ورواع
فتسل حاجتها إذا هي أعرضت * بخميصة سرح اليدين وساع
صكاء ذعلبة إذا استدبرتها * حرج إذا استقبلتها هلواع
وكان قنطرة بموضع كورها * ملساء بين غوامض الأنساع
وإذا تعاورت الحصى أخفافها * دوت نواديه بظهر القاع

فعل السريعة بادرت جدادها * قبل المساء تهم بالاسراع
معنى - تكرو - أي كأنها لاعب بكرة - والسريعة - يعني نساجة - والجداد - الغزل
الضعيف (١) فأراد انها تسرع الضرب بالحف والنسج قبل المساء وما دامت تبصر فشبه
يدي ناقتة في تذرعها بيدي هذه النساجة. وقال الأصمعي الجداد هذب الثوب فيعني
ان هذه النساجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت إلى هدبه فهي تبادر لتفرغ منه
قبل المساء. وقريب منه قول الآخر
كأن أيديهن بالقاع الفرق * أيدي جوار يتعاطين الورق
فالفرق الخشن الذي فيه الحصى وشبه خذف مناسمهن له بحذف جوار يلعبن بدراهم
وخص الجواري لأنهن أخف يدا من النساء. وقال آخرون الفرق ههنا المستوي
من الأرض الواسع وإنما خص بالوصف لان أيدي الإبل إذا أسرع في المستوى فهو
أحمد لها وإذا أبطأت في غيره فهو أجهد لها. ومن أحسن ما قيل في الاسراع قول المرار
بن سعيد
فتناولوا شعب الرحال فقلصت * سود البطون كفضلة المتنمس

(١) وقيل الجداد ما بقي من خيوط الثوب وقيل هي خيوط الثوب إذا قطعه

ذكر قوما سفرا هبوا من رقدتهم إلى رحالهم ليسروا. ويعني بسود البطون الإبل
- والمتنمس - الصائد الذي اخذ ناموسا وهو ما يستتر به ليختل الصيد فشبه المطايا في
سرعتها

بقطا قد صاد الصائد بعضها وأفلت بعضها فهن يطرن طيرانا شديدا. ومثل هذا وإن كان
في صفة الخيل قول النابغة
كالطير تنجو الشؤبوب ذي الرد (١)
فأما قول مروان

يهز مراحها بعد النحول تليلها وقذالها
فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السامة والجهد ما مضى. وأحسن من قول
مروان وأشد فصاحا بالمعنى وإعرابا عنه قول الهذلي
ومن سيرها العنق المسبب* والعجر فيه بعد الكلال
وإنما كان هذا أحسن لأنه صريح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجري
هذا المجرى لأن النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ويكون عن غيره. وأما
قوله - كالقوس ساهمة أتنك - البيت فقد أكثر العرب في وصف المطايا بالنحول
وتشبيهها بالقسي. وغيرها وقد أحسن كثير في قوله
نفى السير عنها كل داء إقامة* فهن رذايا بالطريق ترائك
وحملت الحاجات خصوصا كأنها* وقد ضمرت صفر القسي العواتك
وقال سلم بن عمر الخاسر
وكأنهن من الكلال أهلة* أو مثلهن عطائف الأقواس
قود طواها ما طوت من مهمه* نائي الصوى ومناهج أدراس

(١) وصدر البيت* والخيل تمزع غربا في أعنتها* وهو من قصيدته التي أولها
يا دار مية بالعلياء فالسند* أقوت وطال عليها سالف الأبد

وقال أبو تمام يصف ناقة

أتينا القادسية وهي ترنو * إلي بعين شيطان رجيم
فما بلغت بنا عسفان حتى * رنت بلحاظ لقمان الحكيم
وبدلها السرى بالجهل حلما * وقد أديمها قد الأديم
أذاب سنامها قطع الفيافي * ففلق جلدتها نضح العصيم
بدت كالبدر وأفاليل سعد * وآبت مثل عرجون قديم
وقال البحتري

وخدان القلاص حولا إذا * فابلن حولا من أنجم الأسحار
يترققن كالسراب وقد خضن * غمارا من السراب الجاري
كالقسي المعطلات بل الأسهم * مبرية بل الأوتار
وله أيضا

وهي العيس دهرها في ارتحال * من حلول أو فرقة من جميع
رب مرت مرت تجاذب قطريه * سرايا كالمنهل المشروع
وسرى تنتحيه بالوخد حتى * تصدع الليل عن بياض الصديق
كالبرى في البرى ويحسن أحيانا * نسوعا مجدولة في نسوع
(مجلس آخر ٤٣)

[تأويل آية]. إن سال سائل عن قوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)
الآية. فقال كيف أضاف إلى نفسه اليد وهو ممن يتعالى عن الجوارح. الجواب قلنا

في هذه الآية وجوة. أولها أن يكون قوله تعالى (لما خلقت بيدي) جاريا مجري قوله لما خلقت أنا وذلك مشهور في لغة العرب يقول أحدهم هذا ما كسبت يداك وما جرت

عليك يداك فإذا أرادوا نفى الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشي قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الأثبات ولا يكون للفعل رجوع إلى الجوارح في الحقيقة بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل. وثانيها أن يكون معنى اليد هاهنا النعمة ولا إشكال في أن أحد احتمالات لفظة اليد النعمة. فأما الوجه في تشييتها فقد قيل فيه ان المراد نعمة الدنيا ونعمة الآخرة فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت لنعمتي وأراد بالباء اللام. وثالثها أن يكون معنى اليد ههنا القدرة وذلك أيضا معروف من احتمالات هذه اللفظة بقول القائل ما لي بهذا الأمر من يد ولا يدان وما يجري مجرى ذلك والمعنى إنني لا أقدر عليه ولا أطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرة على الحقيقة بل اثبات كون القادر قادر ونفى كونه قادر فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت وأنا قادر على خلقه فعبر عن كونه قادر بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القدرة وكل ذلك واضح في تأويل الآية ونعود إلى ما كنا ابتدأنا به من الكلام على شعر مروان. فمن قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليه مما يختار قوله أحيا أمير المؤمنين محمد * سنن النبي حرامها وحلالها ملك تفرع نبعة من هاشم * مد الإله على الأنام ظلالها جبل لأمته تلوذ بركنه * رادى جبال عدوها فأذالها لم يغشها مما يخاف عظيمه * الا أجال لها الأمور مجالها حتى يفرجها أغر مهذب * ألفي أباه مفرجا أمثالها ثبت على زلل الحوادث راكب * من صرفهن لكل حال حالها كلتا يديك جعلت فضل نوالها * للمسلمين وفي العدو وبالحا وقعت مواقعها بعفوك أنفس * أذهبت بعد مخافة أو جالها

أمنت غير معاقب طرادها * وفككت عن اسرائها أغلالها
ونصبت نفسك خير نفس دونها * وجعلت مالك واقيا أموالها
أما قوله

أحيا أمير المؤمنين محمد * سنن النبي حرامها وحلالها
فقد طعن عليه وعابه من لا معرفة له بنقد الشعر فقال كيف يكون في سنن النبي عليه
الصلاة والسلام حرام وما ذلك بعيب وإنما أراد بقوله حلالها وحرامها التحريم والتحليل
ومن سنن النبي عليه الصلاة والسلام تحريم الحرام وتحليل الحلال. وإنما المعيب من
هذا المعنى قول ابن الرقاع العاملي
ولقد أراد الله إذ ولاكها * من أمة إصلاحها وفسادها (١)
ومثل قول مروان قول سلم الخاسر * ولما ولت ذكرت النبي بتحليله وبتحريمه * فأما قوله
- حتى يفرجها أغر مهذب - البيت فكثير جدا للمتقدمين والمحدثين والأصل فيه قول
زهير

وما كان من خير أتوه فإنما * توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطي الأوشيجه * وتغرس إلا في منابتها النخل
ومثله قول الآخر
وحمزة والعباس منهم ومنهم * عقيل وماء العود من حيث يعصر
ومثله للربيع بن أبي الحقيق اليهودي
إذ مات منا سيد قام بعده * له خلف يكفي السيادة بارع

(١) البيت من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك. ومطلعها
عرف الديار توها فاعتادها * من بعد ما شمل البلى أبلادها
إلا رواسي كلهن قد اصطلى * حمراء أشعل أهلها إيقادها
كانت رواحل للقدور فعريت * منهن واستلب الزمان رمادها

من أبنائه والعرق ينصر فرعه * على أصله والعرق للعرق نازع
ومثله له

ترجو الغلام وقد أعياك والده * وفي أرومته ما ينبت العود
وأخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكميت فقال
تجري أصاغرهم مجرى أكابرهم * وفي أرومته ما ينبت الشجر
ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات
يخلفك البيض من بنيك كما * يخلف عود النضار في شعبه
ومنه قول نهشل بن جرى
أرى كل عود نابتا في أرومة * أبى منبت العيدان أن يتغيرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن * لوالد سوء يلقه حيث سيرا (١)
ومثله لمسلم بن الوليد الأنصاري
ألح على الأيام يفرى خطوبها * على نهج ألفي أباه به قبل
ولبشار
على أعراقها تجري الجياد
والبحثري

(١) هذا البيت الثاني من جملة ثلاثة أبيات في الحماسة منسوبة إلي جميل بن عبد
الله بن معمر وقبله

أبوك حباب سارق الضيف برده * وجدي يا حجاج فارس شمرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لوالد صدق يلقه حيث سيرا
فان تغضبوا من قسمة الله حظكم فله إذ لم يرضكم كان أبصرا

وما بي من خير وشر فإنها * سجية آبائي وفعل جدودي
هم القوم فزعي منهم متفرع * وعودهم عند الحوادث
وللبحتري أيضا
وإذا أبو الفضل استعار سجية * للمكرمات فمن أبي يعقوب
شرف تتابع كابر عن كابر * كالرمح أنبوب على أنبوب
وأرى النجاة لا يكون تمامها * لنجيب قوم ليس بابن نجيب
وله أيضا
ما سعوا يخلفون غير أبيهم * كل ساع منا يريد نصابه
. وله

وما تابع في المجد نهج عدوه * كمتبع في المجد نهج أبيه
وفي هذه القصيدة يقول مروان
هل تعلمون خليفة من قبله * أجرى لغايته التي أجرى لها
طلع الدروب مشمرا عن ساقه * بالخييل منصلتا يجد نعالها
قودا تريع إلى أغر لوجهه * نور يضيئ أمامها وخالها
قصرت حمائله عليه فقلصت * ولقد تحفظ قينها فأطالها
حتى إذا وردت أوائل خيله * جيحان بث على العدو رعالها
أحمى بلاد المسلمين عليهم * وأباح سهل بلادهم وجبالها
أدمت دوابر خيله وشكيمها * غاراتهن أطالها
لم يبق بعد مقادها وطرادها * إلا نحائزها وإلا آلاها

رفع الخليفة ناظري وأراشني * بيد مباركة شكرت نوالها
وحسدت حتى قيل أصبح باغيا * في المشي مترف شيمة مختالها
ولقد حذوت لمن أطاع ومن عصى * نعلا ورثت عن النبي مثالها
أما قوله - قصرت حمائله - البيت. فالأصل فيه قول عنتره
بطل كأن ثيابه في سرحه * يحذى نعال السبت ليس بتوأم
أو قول الأعشي

إلى ماجد كهلال السما * ءأزكى وفاء ومجدا وخيرا
طويل النجاد رفيع العماد * يحمى المضاف ويغني الفقيرا
ومثله

طويل نجاد السيف عار جبينه * كنصل اليماني أخلصته صياقله
إذا هم بالمعروف لم تجر طيره * نحوسا ولم تسبق نداه عوا ذله
ومثله قول طريح بن إسماعيل الثقفي
وأشعث طلاع الثنايا مبارك * يطول نجاد السيف وهو طويل
ولأبي جويرية العبدي

يمد نجاد السيف حتى كأنه * بأعلى سنامي فالج يتطوح
إذا اعتم في البرد اليماني خلته * هلالا بدا في جانب الأفق يلمح
ولأبي عطاء السندي

وأزهر من بني عمر وبن عمرو * حمائله وإن طالت قصار
ولبعضهم في آل المهلب
رأيتكم أعز الناس جارا * وامنعهم إذا عدوا ذمارا

حمائلكم وإن كانت طوالا * نراها عن شمائلكم قصارا
 ولبعض بنى العنبر في معنى الطول
 فجاءت به عبل العظام كأنما * عمايته بين الرحال لواء (١)
 ولا آخر
 أشم طويل الساعدين كأنما * تناط إلى جذع طويل حمائله
 ولا بن هرمة
 تناط حمائل الهندي منه * بعاتق لا ألف ولا ضئيل
 ولكن يستقل به قواه * على ماض بقائمه ثقيل
 ولسلم الخاسر
 يقوم مع الرمح الرديني قائما * ويقصر عنه طول كل نجاد
 وللخشعي
 يوازي الرديني في طوله * ويقصر عنه نجاد الحسام
 وللوالبي
 طول وطول فترى كفه * ينهل بالطول انهلال الغمام
 وطوله يغتال يوم الوغى * وغيره فضل نجاد الحسام
 فأما قوله - ولقد حدوت لمن أطاع - البيت. فقد ردد معناه مروان في مواضع من
 شعره فقال

(١) وقبله

فلا تعذلي في حندج ان حندجا * وليث عفرين لدي سواء
 حميت عن العهار أطهار أمه * وبعض الرجال المدعين جفاء

(٣١)

شبيه أبيه منظرا وخليقة * كما حذيت يوما على أختها النعل
وقال في موضع آخر
أحيا لنا سنن النبي محمد * قد الشراك به قرنت شراكا
وقال أيضا
صحيح الضمير سره مثل جهره * قياس الشراك بالشراك تقابله
وقال أيضا
تشابهتما حلما وعدلا ونائلا * وحزما إذا أمر أقام وأقعدا
تنازعتما نفسين هذي كهذه * على أصل عرق كان أفخر متلدا
كما قاس نعلا حضرمي فقدها * على أختها لم يأل أن يتجردا
وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال
تنازع الأحمدان الشبه فاتفقا * خلقا وخلقاً كما قد الشراكا
والأصل في هذا قول ابن أبي ربيعة
فلما توافقنا اعترفت الذي بها * كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل (١)

(١) البيت من قصيدة مطلعها
جرى ناصح بالود بيني وبينها * فقر بني يوم الحصاب إلي القتل
فما أنس ملاً شيئاً لا أنس موقفي * وموقفها يوما بقارعة النخل
فلما توافقنا اعترفت الذي بها * كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
روي أن ابن أبي ربيعة اجتمع هو وجميل بالأبطح فأنشده جميل لاميته التي أولها
لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى * بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
فأنشده عمر لأمينه فقال جميل هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سحيس
الليالي وما خاطب النساء مخاطبتك أحد وقام مشمرا

ومثله للسيد الحميري رحمه الله تعالى
يتلون أخلاق النبي وفعله * فالنعل تشبه في المثال طراقها
وقد تقدم إلى هذا المعنى يزيد بن المكسر بن ثعلبة بن سيار العجلي بقوله في يوم ذي قار
يحرص قومه على القتال
من فر منكم فر عن حريمه * وجاره وفر عن نديمه
أنا ابن سيار على شكيمه * مثل الشراك قد من أديمه
* وكلهم يجري على قديمه *
فأما قوله * وحسدت حتى قيل أصبح باغيا * البيت ففي معناه قول البحري
ألنت لي الأيام من بعد قسوة * وعاتبت لي دهري المسئ فاعتبا
والبستني النعمي التي غيرت أخي * على فأمسي نازح الود أجنبا
ومما يختار لمروان قوله
موفق لسبيل الرشد متبع * يزينه كل ما يأتي ويجتنب
تسمو العيون إليه كلما انفرجت * للناس عن وجهه الأبواب والحجب
له خلأق بيض لا يغيرها * صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب
ووجدت بعض من ينقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت
الأخير من الثلاثة. وكأن ابن مناذر إياه أراد بقوله وقد سأله وهو مجاور بمكة عمن
ببغداد من الشعراء فقل له العباس بن الأحنف فقال أنشدوني له فأنشدوه
لو كنت عاتبة لسكن عبرتي * أملى رضاك وزرت غير مراقب
لكن صددت فلم تكن لي حيلة * صد الملول خلاف صد العاتب
فقال ابن مناذر أخلق بمن أدام بحث التراب أن يصيب خرزة. [قال الشريف

المرتضى] رضي الله عنه ولا شك في قلة الأمثال في شعر مروان ولكن ليس إلى هذا الحد وهذا المعنى الذي قد تضمنه البيت قد سبق إليه أيضا. قال طريح بن إسماعيل جواد إذا جئته راجيا * كفاك السؤال وإن عدت عادا
خلائقه كسبيك النضار * لا يعمل الدهر فيها فسادا
ومثله قول الخريمي
رأيتك يا زيد زيد الندى * وزيد الفخار وزيد الكرم
تزيد على نائبات الخطوب * بذلا وفي سابغات النعم
كذا الخمر والذهب المعدني * يجود هذا وذاك القدم
وفي قوله - الذهب المعدني - فائدة لأنه إذا خلص الذهب وصفا لم يفسد وإذا امتزج
بغيره لم يكن هذا حكمه. وللأموي
نأوى إلى خلق لم يصدده طبع * كان جوهره من جوهر الذهب
ولبعضهم
ملك له خلق خليك بالعلا * كسبيكة الذهب التي لا تكلف
وقد أخذ الخبزارزي هذا المعنى في قوله
فلا تعن لتحريف تكلمه * لصورة حسنهما الأصلي يكفيها
إن الدنا نير لا تجلى وإن عتقت * ولا تزداد على النقش الذي فيها
ولجحظة
صديق لي له أدب * صداقة مثله حسب
رعى لي فوق ما يرعى * وأوجب فوق ما يجب
ولو نقدت خلائقه * لبهرج عندها الذهب

(مجلس آخر ٤٤)

[تأويل آية]. إن سأل سائل عن قوله تعالى (نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى) الآية. فقال لم وحد نجوى وهو خبر عن جمع ما معنى مسحورا وما جرت عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك بل عادتهم جارية بقرفه بأنه ساحر. الجواب أما قوله تعالى (وإذ هم نجوى) فان نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مقرر على لفظه ويجري ذلك مجري قولهم الرجال صوم والمناهل حمد يعني بصوم صائمون وبحمد محمودون. وقد قال قوم ان معناه وإذ هم أصحاب نجوى فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ويقال القوم نجى والقوم أنجية فمن وحد بني على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصادر ملحقا برغيف وأرغفة وما أشبه ذلك. قال الشاعر في التوحيد أتانى نجىي بعد هدء ورقدة * ولم أك فيما قد بلوت بكاذب (١)

(١) قوله - أتانى نجى - الخ. هو لسواد بن قارب الدوسي رضي الله عنه وقيل إنه سدوسي وهو صحابي وبعده

ثلاث ليال قوله كل ليلة * اتاك رسول من لؤي بن غالب
فرفعت أذيال الأزرار وشمريت * بي العرمس الوجناء هول السبابس
فأشهد أن الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة * إلى الله يا بن الأكرمين الأطياب
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا * وإن كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو قرابة * بمغن فتىلا عن سواد بن قارب
روى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له وهو خليفة كيف كهانتك اليوم
فغضب سواد وقال يا أمير المؤمنين ما قالها لي أحد قبلك فاستحيى عمر ثم قال له يا سواد
ما كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك ثم سأله عن حديثه في بدء الاسلام وما أتاه
به رثيه من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره انه أتاه رثيه ثلاث ليال
متواليات وهو فيها كلها بين النائم واليقظان فقال له قم يا سواد فاسمع مقالتي واعقل ان
كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته وأنشد في
كل ليلة من الثلاث ليال ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة أولها
عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغى الهدى * ما صادق الجن ككذا بها
فارحل إلى الصفوة من هاشم * ليس قدامها كأذنا بها
وذكر تمام الخبر وانه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشده الأبيات السابقة

وأنشد الفراء في الجمع
ظلت نساؤهم والقوم انجية * يعدي عليها كما يعدي على الغنم
فأما قوله تعالى (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) ففيه وجوه. أولها أن يكون
المراد ان تتبعون إلا رجلا متغير العقل لأن المشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى
الله عليه وسلم وتضعيف أمره وتوهين رأيه وكانوا في وقت ينسبونه إلى أنه ساحر وفي
آخر يرمونه بالجنون وانه مسحور متغير العقل وربما قذفوه بأنه شاعر حوشى من
ذلك كله وقد جرت عادة الناس بان يصفوا من يضيفونه إلى البله والغفلة وقلة التحصيل
بأنه مسحور. وثانيها أن يريدوا بالمسحور المخدوع المعلن لان ذلك أحد ما يستعمل
فيه هذه اللفظة. قال امرؤ القيس
أرانا موضعين لحتم غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب (١)

(١) وبعده
عصافير وذبان ودود * وأجرأ من مجلحة الذئاب
ويروى وأجر. وبعده
وكل مكارم الأخلاق صارت * إليه همتي وبه اكتسابي
فبعض اللوم عاذلتي فإني * ستكفيني التجارب وانتسابي
إلى عرق الثرى وشجت عروقي * وهذا الموت يسلبني شبابي
إلى آخر الأبيات

وقال أمية بن أبي الصلت
 فإن تسألينا فيم نحن فإننا * عصفير من هذا الأنام المسحر
 . وثالثها أن السحر في اللغة العربية الرئة وما تعلق بها وفيه ثلاث لغات سحر وسحر
 وسحر. وقيل السحر ما لصق بالحلقوم والمرئ من أعلى الجوف وقيل إنه الكبد
 فكان المعنى على هذا إن يتبعون إلا رجلا مسحورا ذا سحر خلقه الله بشرا كخلقتكم
 . ورابعها أن يكون معنى مسحورا أي ساحرا وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال
 الله تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا
 مستورا) أي ساترا والعرب تقول للمعسر ملقح (١) ومعناه ملقح لان ماضيه ألقح فجاؤوا
 بلفظ المفعول وهو للفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشئوم على فلان وميمون ويريدون
 شائم ويا من لأنه من شامهم ويمنهم. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ورأيت بعض
 العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الأخير فيقول العرب لا تعرف فلان مشئوم على فلان
 وإنما هذا من كلام أهل الأمصار وإنما تسمي العرب من لحقه الشؤم مشؤما. قال
 علقمة بن عبدة
 ومن تعرض للغربان يزجرها * على سلامته لا بد مشؤم (٢)

(١) قوله ملقح هكذا في الأصل ووردت كذلك في بعض الكتب. والصحيح
 ملفج بالفاء والجيم وهو من الأوصاف التي وردت على أفعل فهو مفعول أي استغنى بصيغة
 اسم الفعول فيها عن اسم الفاعل وهي الفج الرجل فهو ملفج أي ذهب ماله وأسهب
 فهو مسهب أي كثر كلامه وأحصن فهو محصن وأهتر فهو مهتر وزاد بعضهم اجرأشت
 الإبل فمي مجرأشة

(٢) قال الضبي هذا لايمانه بالطيرة يقول من يزجر الطير وان سلم فلا بد أن يصيبه
 شؤم وألحد

إمام كان لقمان بن عاد * أشار له بحكمته مشير
 تعلم أنه لا طير إلا * على متطير وهو الثبور
 بلى شيء يوافق بعض شيء * أحياننا وباطله كثير

قال الرستمي يقول الغربان يتشاءم بها فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفا أن يصيبه
 الشؤم فلا بد أن يقع بما خاف ويحذر وبيت علقمة من قصيدته المشهورة التي مطلعها
 هل ما علمت وما استودعت مكتوم * أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

والوجوه الثلاثة الأول أوضح وأشبه. ومما يختار لمروان بن أبي حفصة قوله
من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني أولها
أرى القلب أمسى بالأوانس مولعا * وإن كان من عهد الصبا قد تمتعا
يقول فيها

ولما سرى الهم الغريب قرينه * قرى من أزال الشك عنه وأزمعا
عزمت فعجلت الرحيل ولم أكن * كذى لوثة لا يطلع الهم مطالعا
فأمت ركابي أرض معن ولم تزل * إلى أرض معن حيث ما كان نزعا
نجائب لولا أنها سخرت لنا * أبت عزة من جهلها أن تورعا
كسونا رحال الميس منها غواربا * تدارك فيها الني صيفا ومربعا
فما بلغت صنعاء حتى تواضعت * ذراها وزال الجهل عنها وأقلعا
يقول فيها

وما الغيث إذ عم البلاد بصوبه * على الناس من معروف معن بأوسعا
تدارك معن قبة الدين بعدما * خشينا على أوتادها أن تنزعا
أقام على الثغر المخوف وهاشم * تساقى سماما بالأسنة منقعا

مقام امرئ يأبى سوى الخطة التي * تكون لدى غب الأحاديث أنفعا
وما أحجم الأعداء عنك بقية * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
رأوا مخدرا قد جربوه وعانوا * لدى غيله منهم مجرا ومصرعا
وليس بثانيه إذا شد أن يرى * لدى نحره زرق الأسنة شرعا
له راحتان الحتف والغيث فيهما * أبى الله إلا إن تضرا وتنفعا
لقد دوخ الأعداء معن فأصبحوا * وامنعهم لا يدفع الذل مدفعا
نجيب مناجيب وسيد سادة * ذرا المجد من فزعي نزار تفرعا
لبانت خصال الخير فيه وأكملت * وما كملت خمس سنوه وأربعا
لقد أصبحت في كل شرق ومغرب * بسيفك أعناق المرييين خضعا
وطئت حدود الحضرميين وطأة * لها هد ركن منهم فتضعضعا
فأقعوا على الأذنان إقعاء معشر * يرون لزوم السلم أبقي وأودعا
فلو مدت الأيدي إلى الحرب كلها * لكفوا وما مدوا إلى الحرب إصبعا
أما قوله - فما بلغت صنعاء حتى تواضعت - البيت. فقد رده في موضع آخر فقال
فما بلغت حتى حماها كاللها * إذا عريت أصلابها أن تقيدا
وهذا كثير في الشعر القديم والمحدث. فمنه قول جرير
إذا بلغوا المنازل لم تقيد * وفي طول الكلال لها قيود
وروى أنه قيل لنصيب لك بيت نازعك فيه جرير أيكما فيه أشعر فقال ما هو فقل قولك
أضر بها التهجير حتى كأنها * بقايا سلال لم يدعها سلالها
وأنشد بيت جرير الذي تقدم فقال قاتل الله ابن الخطفي فقليل له قد فضله عليك فقال

هو ذاك. وأخذ هذا المعنى المؤمل بن أميل المحاربي فقال
كانت تقيد حين تنزل منزلا * فاليوم صار لها الكلال قيودا
ولأبي نخيلة

قيدها الجهد ولم يقيد * فهي سوام كالقنا المسند
ومالها معلل من مزود * منها ولا من شاحط مستبعد
ومعنى قوله - سوام - أي هي رافعة رؤسها وشبهها بالقنا لأن القنا إذا ركز مال قليلا مع
الريح فيقول في أعناقها ميل من الضعف كما قال الشماخ
فأضحت تفالي بالستار كأنها * رماح نحاهها وجهة الريح راكز
وكما قال حميد بن ثور الهلالي
بمشوى حرام والمطى كأنها * قنا مسند هبت لهن خريق
- الخريق - ريح شديدة تنخرق من كل جهة. ومعنى قول أبي نخيلة - من مزود -
أي من ثميلة تجترها من الاجترار انه لا شيء في أجوافها تعلل به - والمستبعد - ما بعد من
المرعى. وأنشد أبو العباس ثعلب
إذا بلغوا المنازل لم تقيد * ولم تشدد ركائبهم بعقل
فهن مقيدات مطلقات * تقضم ما تشذب في المحل
والأصل في هذا قول امرئ القيس
مطوت بهم حتى تكل مطيهم * وحتى الجياد ما يقدن بأرسان
ولعباد بن أنف الكلبي الصيداوي
فتمسى لا أقيدها بحبل * بها طول الضراوة والكالل
ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الإبل
بدأنا بها من سيف رمل كهيلة * وفيها نشاط من مراح وعجرف

فما بلغت حتى تقارب خطوها * وبادت ذراها والمناسم رعف
وحتى قتلنا الجهل عنها وغودرت * إذا ما أنيخت والمدامع ذرف
وحتى مشى الحادي البطئ يسوقها * لها بخص دام ودئي مجلف
- البخص - لحم الخف الذي (١) يطأ عليه - والدئي - فقار الظهر - والمجلف -
المنشور

وحتى تخشاها وما في يد لها * إذا حل عنها رمة وهي رشف
- الرمة - الحبل. وأراد انها تزيف كما يزيف المقيد وان لم يكن في يدها قيد
إذا ما نزلنا قاتلت عن ظهورها * حر أجيج أمثال الأهله شسف
- الحراجيج - الطوال من الإبل - والشسف - اليابسة من الجهد والكلال. ومعنى
قتالها للغربان انها إذا عريت ظهورها تقع الغربان عليها لتأكل دبرها فالإبل تدفع
الغربان بأفواهها عن ظهورها فذلك قتالها
إذا ما أريناها الأزمة أقبلت * إلينا بحرات الخدود تصدف
فأفني مراح الداهرية خوضها * بنا الليل إذ نام الدثور الملفف
ويروى أرقلة. ومن أحسن ما قيل في وصف الإبل بالنحول من الكلال والجهد
بعد السمن قول الشاعر
وذا مائين قد غيضت جمتها * بحيث يستمسك الأرواح بالحجر
ردت عوارى غيطان الفلا ونحت * بمثل إيالة من حائل العشر
قوله - ذات مائين - يعني سمنا على سمن وقيل بل عنى أنها رعت كلا عامين. وقوله

(١) وقيل البخص ما ولى الأرض من تحت أصابع الرجلين وتحت مناسم البعير
والنعام وقيل هو لحم يخالطه بياض من فساد يحل فيه والدئي بكسر الدال والهمزة جمع
دأيه وهي فقر الكاهل والظهر أو غير ضيف الصدر أو ضلوعه في ملتقاه وملتقى الجنب

- قد غيضت جمعتها - يعني انه أتعبها بالسير حتى ردها هزلى بعد سمن فكأنه غيض بذلك ماءها. ومعنى - بحيث يستمسك الأرواح بالحجر - يعني الفلاة حيث لا يكون فيها الماء فيقتسم الركب الماء الذي يكون معهم بالحجر الذي يقال له المقلة فتمسك أرمافهم . وقوله - ردت عوارى غيطان الفلا - أي ما رعت من كالأ هذه الأماكن وسمنت عنه كان كعارية عندها فردته حيث جهدتها السير وأهزلها - والإيالة - الحزمة من الحطب اليابس. واخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال
رعت الفيافي بعد أن كان حقبة * رعاها وماء المزن ينهل ساكبه (١)
فكم جزع واد جب ذروة غارب * ومن قبل كانت أنهكت مذهبها
فأما قوله - فما أحجم الأعداء عنك بقية - البيت فمأخوذ من قول الأول
فما بقيا على تركتmani * ولكن خفتما صرد النبالي (٢)

(١) هذان البتان من قصيدته المشهورة التي مدح بها عبد الله بن طاهر لما قدم خراسان حكى انه لما أنشده إياها وبلغ إلى قوله
وقلقل نأي من خراسان جأشها * فقلت أطمأني انضر الروض عاز به
وركب كأطراف الأسنة عرجوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم أن تتم صدوره * وليس عليهم أن تتم عواقبه
صاح الشعراء بالأمير ما يستحق هذا الشعر غير الأمير أعزه الله. وقال شاعر منهم
يعرف بالرياحي لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها وقد جعلتها لهذا الرجل
جزاء عن قوله للأمير فقال له بل نضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا فلما فرغ من
القصيدة نثر عليه ألف دينار فلقطها الغلمان ولم يمس منها شيئا فوجد عليه عبد الله
وقال يترفع عن برى ويتهاون بما أكرمت به فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك
(٢) قوله - فما بقيا على - الخ. البقيا بالضم الرحمة والشفقة - وصرد - السهم من
باب فرح من الأضداد إذا نفذ وإذا نكل فيكون المعنى على النفوذ إنكما خفتما نفوذ سهامي
فيكما أي هجائي وعلى معنى النكول أي خفتما أن لا تنفذ سهامكما في فعجزتما عني وهو
أول أبيات اللعين المنقري يهجو بهما جريرا والفرزدق وبعده
فدونكما انظر أهجوت أم لا * فذوقا في المواطن من تبالي
وما كان الفرزدق غير قين * لئيم خاله للؤم تالي
ويترك جده الحظفي جرير * ويندب حاجبا وبني عقال
وكان اللعين تعرض لجرير والفرزدق فقال
سأقضى بين كلب بني كليب * وبين القين قين بني عقال
بأن الكلب مرتعه وخيم * وأن القين يعمل في سفال
فلم يجبه أحد منهما فقال الأبيات المتقدمة

وقريب منه قول الآخر
لعمرك ما الناس أثنوا عليك * ولا قرظوك ولا عظموا
ولو أنهم وجدوا مطعنا * إلى أن يعيبوك ما أحجموا
فأنت بفضلك ألجأتهم * إلى أن يجلوا وأن يعظموا
ومثله
أما لو رأى فيك العدو نقيصة * لخب بتصريف العيوب وأوضعا
ولكنه لما رءاك مبرءا * من العيب غطى رأسه وتقنعا
ومثله
قد طلب العاذل عيبا فما * أصاب عيبا فأنثنى عاذرا
وللبحتري في معني قول مروان * فما أحجم الأعداء عنك بقية *
من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الأسد
غداة لقيت الليث والليث خادر * يحددنا باللقاء ومخلبا
شهدت لقد أنصفته يوم تنبري * له مصلتا عضبا من البيض مغضبا

فلم أر ضرغامين أصدق منكما * عراقا إذا الهيابة النكس كذبا
 هزبر مشي يبغي هزبرا وأغلب * من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا
 أدل بشغب ثم هالته صوله * رأك لها امضى جنانا وأشغبا
 فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وأقدم لما لم يجد عنك مهربا
 فلم يغنه أن كر نحوك مقبلا * ولم ينجه أن حاد عنك منكبا
 حملت عليه السيف لا عزمك انثنى * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
 وكنت متى تجمع يمينك تهتك ال * ضريبة * أو لا تبقي للسيف مضربا
 ومن صافي كلام مروان ورائقه وما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسج قوله
 بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * أسود لها في غيل خفان أشبل
 هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل
 لها ميم في الإسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهلية أول
 هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا * أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجز لوا
 وما يستطيع الفاعلون فعالهم * وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا
 ثلاث بأمثال الجبال حباهم * وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل
 ومن جيد قوله في قصيدة يمدح بها معنا
 ما من عدو يرى معنا بساحته * إلا يظن المنايا تسبق القدرا
 يلقي إذا الخيل لم تقدم فوارسها * كالليث يزداد إقداما إذا زجرا
 أغر يحسب يوم الروع ذا لبد * وردا ويحسب فوق المنبر القمر
 وله من قصيدة يصف يوما حارا

ويوم عسول الآل حام كأنما * لظى شمسه مشبوب نار تلهب
نصبنا له منا الوجوه وكنها * عصائب أسمال بها يتعصب
ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفرى
ويوم من الشعرى يذوب لعبه * أفاعيه في رمضائه تتململ (١)
نصبت له وجهي ولكن دونه * ولا ستر الا الأتحمى المرعب (٢)
ولمروان من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ويذكر فيها نخلها وشجرها
أجاد فيها
نواضر غليا قد تدانت رؤسها * من النبت حتى ما يطير غرابها
ترى الباسقات العم فيها كأنها * طعائن مضروب عليها قبابها
ترى بابها سهلا لكل مدفع * إذا أينعت نخل فاغلق بابها
يكون لنا ما نجتنى من ثمارها * ربيعا إذا الآفاق قل سحابها

(١) البيتان من قصيدته المشهورة المسماة الشنفرية ولامية العرب - الشعرى -
هي الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر - وذاب - الشئ نقيض
حمد - ولعابه - ولوابه واحد. ولعابه هنا ما تراه من شدة الحر مثل نسج العنكبوت
- والأفاعي - جمع أفعى وهي الحية - والرمض - شدة وقع الشمس على الرمل وغيره
والأرض رمضاء أي أصابها الرمض - والتململ - التحرك على الفراش إذا لم تستقر عليه
من الوجع كأنه على ملة والملة الرماد الحار. والواو في ويوم واو رب ومن لبيان
الجنس والتقدير ويوم من الأيام التي تطلع فيها الشعرى ومن الشعرى صفة يوم ويذوب
نعت ليوم أيضا أي ذائب لعبه وأفاعيه مبتدأ وتتململ خبره وفي رمضائه متعلق بتتململ
(٢) - النصب - الإقامة تقول نصبت وجهي للحر أقمته - والكن - الستر والجمع
أكنان - والأنحمي - برد معروف - والمرعب - الممزق فقلوله نصبت هو جواب رب

حظائر لم يخلط بأثمانها الربى * ولم يك من أخذ الديات اكتسابها
ولكن عطاء الله من كل مدحة * جزيل من المستخلفين ثوابها
ومن ركضنا للخيل في كل غارة حلال بأرض المشركين نهابها
حوت غنمها آباؤنا وجدودنا * بصم العوالي والدماء خضابها
فأما قوله

حظائر لم يخلط بأثمانها الربى * ولم يك من أخذ الديات اكتسابها
فكان ابن المعتز نظر إليه في قوله
لنا إبل ما وفرتها دياتنا * ولا ذعرتها في الصباح الصوائح
وفي ضد هذا قول أبي تمام
كثرت فيهم المسارح إلا * أنها من مناكح وديات
ومثل الأول قول حسان يهجو قوما من قریش
وما لكم لا من طراد فوارس * ولكن من الترقیح يا شر مالك
(مجلس آخر ٤٥)

[تأويل آية]. إن سأل سائل عن معني قوله تعالى (كل شئ هالك إلا وجهه)
. وقوله تعالى إنما نطعمكم لوجه الله). وقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والإكرام) وما شاكل ذلك من آي القرآن المتضمنة لذكر الوجه. الجواب قلنا
الوجه ينقسم في اللغة العربية إلى أقسام. فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل
حيوان. والوجه أيضا أول الشئ وصدره ومن ذلك قوله تعالى (وقالت طائفة من
أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وأكفروا آخره) أي

أول النهار. ومنه قول الربيع بن زياد
من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
أي غداة كل يوم. وقال قوم وجه نهار اسم موضع. والوجه القصد بالفعل من ذلك
قوله تعالى (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله). وقال الفرزدق
وأسلمت وجهي حين شدت ركائبني * إلي آل مروان بنات المكارم
أي جعلت قصدي وإرادتي لهم. وأنشد الفراء
أستغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد إليه الوجه والعمل
أي القصد. ومنه قولهم في الصلاة وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض أي
قصدت قصدي بصلاتي وعملي وكذلك قوله تعالى (فأقم وجهك للدين القيم). والوجه
الاحتياي في الأمرين من قولهم كيف الوجه لهذا الأمر وما الوجه فيه أي ما الحيلة. والوجه
الذهاب والجهة والناحية. قال حمزة بن بيض الحنفي
أي الوجوه انتجعت قلت لهم * لأي وجه إلا إلى الحكم
متى يقل صاحباً سراقه * هذا ابن بيض بالباب يتتسم
. والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان أوجه من فلان أي أعظم
قدرا وجاها ويقال أوجهه السلطان إذا جعل له جاها. قال امرؤ القيس
ونادمت قيصر في ملكه * فأوجهني وركبت البريدا (١)

(١) وقيله

أأذكرت نفسك ما لن يعودا * لهاج التذكر قلبا عميدا
تذكرت هند وأترابها * فأصبحت أزمت منها صدودا
ونادمت قيصر في ملكه * فأوجهني وركبت البريدا
إذا ما ازدحمنا على سكة * سبقت الفرانق سبقا شديدا

يقال حمل فلان فلانا على البريد إذا هياً له في كل مرحلة مركوبا ليركبه فإذا وصل إلى المرحلة الأخرى نزل عن المعبي وركب المرفه وهكذا إلى أن يصل إلى مقعده. والوجه الرئيس المنظور إليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه الشيء نفسه وذاته . قال أحمد بن جندل

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * فأفلت منها وجهه عتد نهد (١)

(١) هكذا بالأصل وفسرها بهامش النسخة أي ضخم. وقوله قال أحمد بن جندل الخ المعروف ان البيت لسوار بن حبان المنقري قاله يوم جدود والرواية المشهورة ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * سقته نجيعا من دم الجوف أشكلا وروى

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * تمج نجيعا من الجوف أشكلا وبعده

وحرمان أدته إلينا رماحنا * ينازع غلافي ذراعيه مقفلا

ونسب ابن قتيبة البيتين لجرير وسمي الحوفزان حوفزانا لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه. قال الجوهري وأما قول من قال إنما حفزه بسطام بن قيس فغلط لأنه شيباني فكيف يفتخر به جرير وأما قول الآخر

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * سقته نجيعا من دم الجوف آنيا

فهو الأهتم بن سمي المنقري وأول الشعر

لما دعنتي للسيادة منقر * لدى موطن أضحي له النجم باديا

شددت لها أزري وقد كنت قبلها * أشد لاحناء الأمور إزاريا

ولنعد إلى حديث يوم جدود روى عن أبي عبيدة قال قيس بن عاصم هو الذي حفز

الحوفزان بن شريك الشيباني طعنه في استه يوم جدود وكان من حديث ذلك اليوم

ان الحارث بن شريك بن عمرو الصلب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام كانت

بينه وبين بنى يربوع مودة ثم هم بالغدر بهم فجمع بنى شيبان وبنى ذهل واللهازم

وقيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بنى يربوع فنذر به عتيبة بن الحارث

ابن شهاب بن شريك فنادي في قومه بنى جعفر بن ثعلبة من بنى يربوع فوادعه وأغار

الحارث بن شريك على بنى مقاعس واخوتهم بنى ربيع فلم يجيئوهم فاستصرخوا بنى

منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يوم شديد

الحر فما شعر الحوفزان إلا بالأهتم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر واسم الأهتم

سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهتم من أنت

فانتسب له وقال هذه منقر قد أتتك فقال الحوفزان فأنا الحارث بن شريك فنادى

الأهتم يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل وحمل كل واحد منها على صاحبه

ولحقت بنو منقر فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه ونادت نساء بنى ربيع يا آل سعد فاشتد قتال

بنى منقر لصياحهن فهزمت بكر بن وائل وخلوا ما كان في أيديهم من بنى مقاعس وما

كان في أيديهم من أموال وتبعتهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهتم حرمان بن

عمرو وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرس له قارح

يدعى الزبد وقيس على مهر فخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفزه بالرمح في استه فتحفز

به الفرس فنجا فسمى الحوفزان وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبنى ربيع وسباياهم

وأخذ أموال بكر بن وائل وأسارهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة

فمات وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم

جزا الله يربوعا بأسوء فعلها * إذا ذكرت في النائبات أمورها

ويوم جدود قد فضحتهم ذماركم * وسالتموا والخيل تدمى نحورها

ستخطم سعد والرباب أنوفكم * كما حز في أنف القضيب جريرها

أراد أفلته ونجاه ومنه قولهم إنما أفعل ذلك لوجهك. ويدل أيضا على أن الوجه يعبر به عن الذات قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة). وقوله تعالى (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية) لأن جميع ما أضيف إلى الوجوه في ظاهر الآي من النظر والظن والرضا لا يصح اضافته على الحقيقة إليها وإنما يضاف إلى الجملة فمعنى قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) أي كل شيء هالك إلا إياه فكذلك قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل ذي كما قال (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) لما كان اسمه غيره. ويمكن في قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه)

وجه آخر وقد روى عن بعض المتقدمين وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به إلى الله تعالى ويوجه نحو القربة إليه جلت عظمته فيقول لا تشرك بالله ولا تدع إلها غيره فان كل فعل يتقرب به إلى غيره ويقصد به سواه فهو هالك باطل وكيف يسوغ للمشبهة أن يحملوا هذه الآية والتي قبلها على الظاهر أوليس ذلك يوجب انه تعالى يفني ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من قائله. فأما قوله تعالى (إنما نطعمكم لوجه الله) وقوله (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) وقوله (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله) فمحمول على أن هذه الأفعال مفعولة له ومقصود بها ثوابه والقربة إليه والزلفة عنده قوله تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) فيحتمل أن يراد به فثم الله لا على معنى الحلول ولكن على معنى التدبير. والعلم ويحتمل أيضا أن به فثم رضا الله وثوابه والقربة إليه ويحتمل أن يكون المراد بالوجه الجهة ويكون الإضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لأنه عز وجل قال (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) أي ان الجهات كلها لله تعالى وتحت ملكه وكل هذا واضح بين بحمد الله. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال انحدرنا مع المكتفى

بالله في آخر سفرة سافرها للصيد من الموضع المعروف بجبة إلى تكريت في خرقه (١) فكانت تجنح كثيرا فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت أشدهم فزعا وكان في الخرقه سواي من الجلساء يحيى بن علي المنجم ومتوج بن محمد بن مروان والقاسم المعروف بابن حبابه وكان يضحك لفزعنا ويقول لقد قسم الله لكم حظا من الشجاعة جزيلا فقلت له ان البحري يقول شعرا يصف فيه مثل حالنا ويمدح فيه أحمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم في مراكب أوله ألم تر تغليس الربيع المبكر * وما حاك من وشى الرياض المنشر فقال له أنشدني الموضع الذي قال هذا فيه منها وكان جيد العلم بالأشعار حافظا للأخبار

(١) - الخرقه - سفينة صغيرة فيها الشموع والنار. وقيل إنها من الخرق لأنها تخرق الماء. كذا بهامش الأصل

فأنشده

غدوت على الميمون صباحا وإنما * غدا المركب الميمون تحت المظفر
إذا زمجر النوبي فوق علاته * رأيت خطيبا في ذؤابة منبر
يغضون دون الإشتيام عيونهم * و فوق السماط للعظيم المؤتمر
إذا ما علت فيه الجنوب اعتلى له * جناح عقاب في السماء مهجر
إذا ما انكفا في هبوة الماء خلته * تلفع في أثناء برد محبر
و حولك ركابون للهول عاقروا * كؤوس الردى من دار عين ومحسر
تميل المنايا حيث مالت أكفهم * إذا أصلتوا حد الحديد المذكر
إذا أرسقوا بالنار لم يك رشقهم * ليقلع إلا عن شواء مقتر
صدمت بهم صهب العثانين دونهم * ضراب كإيقاد اللظى المتسعر
يسوقون إسطولا كأن سفينة * سحائب صيف من جهام وممطر
كأن ضجيج البحر بين رماحهم * إذا اختلفت ترجيع عود مجرجر
تقارب من زحفهم فكأنما * تألف من أعنان وحش منفر
على حين لا نقع تطوحه الصبا * ولا أرض تلقى للصريع المقطر (١)
فما رمت حتى أجلت الحرب عن طلى * مقصصة فيهم وهام مطير
و كنت ابن كسري قبل ذاك وبعده * مليا بان توهى صفاة ابن قيصر
جدحت له الموت الذعاف فعافه * وطار على ألواح شطب مسمر

(١) - المقطر - الملقى على أحد جانبيه. كذا في هامش الأصل

سعى وهو مولى الريح يشكر فضلها * عليه ومن يولى الصنعة يشكر
قال فاستجاد المكتفى بالله قوله - على حين لا تقع تطوحه الصبا
فقال له يحيى بن علي
أنشدني ابن الرومي شعرا له في هذا المعنى
ولم أتعلم قط من ذي سباحة * سوى الغوص والمضغوف غير مغالب
ولم لا ولو ألقيت فيها وصخرة * لوافيت منها القعر أول راسب
وأيسر إشفافي من الماء أنني * أمر به في الكوز مر الأجانب
وأخشى الردى منه على كل شارب * فكيف بأمنية على نفس راكب
فقلت له إنما أخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول أبي نواس فقال المكتفى بالله فما قال
قلت

حدثني علي بن سراج المصري قال حدثني أبو وائل اللخمي قال حدثني إبراهيم بن
الخصيب قال وقف أبو نواس بمصر على النيل فرأى رجلا قد أخذه التمساح فقال
أضمرت للنيل هجرانا ومقلية * مذ قيل لي إنما التمساح في النيل
فمن رأي النيل رأى العين من كذب * فما أرى النيل إلا في البواقي
قال الصولي - والبواقي - سفن صغار. ثم أجري المكتفى بعد ذلك ذكر الشيب فقال
العرب تقول أظلم من شيب وقد شبت وظلمني المشيب وشبت يا صولي فقلت جواب
عبدك

في هذا جواب معن بن زائدة الشيباني لجذك المنصور وقد قال له كبرت يا معن فقال
في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وانك لتتجلد قال على أعدائك قال وفيك بحمد الله بقية
قال لخدمتك فنزع المكتفى عما مته فإذا شيبتان في مقدم رأسه فقال لقد غمني لطوع هاتين
الشيبتين فقلت له إنما يعيش الناس في الشيب فأما السواد فلا يصحب الناس خالصا
أكثر من أربعين سنة إلى الخمسين وقد يعاش في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة
فأنشده يحيى بن علي في معني طول العمر مع المشيب قول امرئ القيس

ألا إن بعد العدم للمرء قنوة * وبعد المشيب طول عمر وملبسا (١)
وأنشدته أنا أيضا أبياتا أنشدتها إسحاق بن إبراهيم الموصلي لبعض القيسيين
لم ينتقص مني المشيب قلامة * الآن حين ابدأ لب واكيس
والشيب إن يظهر فإن وراءه * عمرا يكون خلاله متنفس
[قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه أما قول البحري - مضى وهو مولى الريح -
فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري
أشلى على منويل أطراف القنا * فنجى عتيق عتيقة جرداء
فلو انه ابطالهن هنيئة * لصدرن عنه وهن غير ظماء
ولئن تبقاه القضاء لوقته * فلقد عممت جنوده بفناء

(١) هو من قطعته التي أولها
تأوبني دائي القديم فغلسا * أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا
. ومنها
فإما تريني لا أغمض ساعة * من الليل إلا أن أكب فأنعسا
فيارب مكروب كررت وراءه * وطاعت عنه الخيل حتى تنفسا
وما خفت تبريح الحياة كما أرى * تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا
فلو أنها نفس تموت جميعة * ولكنها نفس تساقط أنفسا
وبدلت قرحا داميا بعد صحة * لعل مناياها تحولن أبؤسا
لقد طمح الطماح من بعد أرضه * ليلبسني من دائه ما تلبسا
وسبب هذه القطعة ان امرأ القيس استنجد قيصر ملك الروم في حربه لبني أسد
المشهورة فأمدّه بجيش عظيم فلما انفصل عنه وشى به رجل من بني أسد يقال له الطماح
إلى قيصر فبعث إليه بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب فلما وصلت إليه لبسها واشتد
سروره بها فأسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سمي ذا القروح فقال هذه القطعة

وأظنه أخذ هذا المعني من قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الحرمية
لولا الظلام وقلة علقوا بها * باتت رقابهم بغير قلال
فليشكروا جنح الظلام ودروزا * فهم لدروز والظلام موالي
وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بأن البواقيل سفن صغار لأن البواقيل جمع
بوقال وهو آلة على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره. وهذا مثل قول
ابن الرومي

أمر به في الكوز مر المجانب
وإنما أراد أنني لا أمر بماء النيل إلا إذا أردت شربه في كوز أو بوقال وما أشبه ذلك
وأظن أنه استمر عليه الوهم من جهة قوله فما أري النيل وصرف ذلك إلى أنه أراد
النيل على الحقيقة وإنما أراد ماء النيل وما علمت أن السفن الصغار يقال لها بواقيل إلا
من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحا من أن ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت
أبي نواس بما ذكرناه أشبه وأليق وأدخل في معني الشعر وكيف يدخل الشبهة في ذلك
مع قوله - فمن رأى النيل رأى العين من كذب - ومن رأى النيل في السفن فقد رآه من
كذب ومن رأى ماءه في الآنية على بعد فلا يكون رائيا له من كذب. فأما مدح
الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس وأكثروا فمما تقدم من ذلك قول
رؤبة بن العجاج ويقال ان رؤبة لم يقل من القصيدة إلا هذين البيتين
أيها الشامت المعير بالشيب * أقلن بالشباب افتخارا
قد لبست الشباب غضا جديدا * فوجدت الشباب ثوبا معارا
ولعلي بن جبلة
جفى طرب الفتيان وهو طروب * وأعقبه قرب الشباب مشيب
تجافت عيون البيض عنه وربما * مددن إليه الوصل وهو حبيب

لعمري لنعم الصاحب الشيب واعظا * وإن كان منه للعيون نكوب
خليط نهى منبأة حلم وإنه * على ذاك مكروه الخلاط مريب
ولآخر

وتنكرت شيبى فقلت لها * ليس الشباب بنا قص عمري
سيان شيبى والشباب إذا * ما كنت من عمري على قدر
ولآخر

إن أكن قدر زئت أسود كالفحم * وأعقت مثل لون النعامة
فلقد أسعف الكريم وأحبوا * أهله بالندي وآبى الظلامة
غير أن الشباب كان رداء * خاننا فيؤه كفى الغمامة
ولآخر

إن المشيب رداء الحلم والأدب * كما الشباب رداء الجهل واللعب
تعجبت أن رأيت شيبى فقلت لها * لا تعجبي من يطل عمر به يشب
ولا بن الجهم

حسرت عني القناع ظلوم * وتولت ودمعها مسجوم
أنكرت ما رأيت برأسي فقلت * أمشيب أم لؤلؤ منظوم
قلت شيب وليس عيباً فأت * أنه يستثيرها المهموم
شد ما أنكرت تصرم عهد * لم تدم لي وأي حال يدوم
ولأبي هفان

تعجبت در من شيبى فقلت لها * لا تعجبي فطلوع الشيب في السدف

وزادها عجباً لما رأت سملي * وما درت دران الدر في الصدف (١)
وقد أحسن أبو تمام غاية الاحسان في قوله
أبدت أسى إذ رأيتني مخلص القصب * فآل ما كان من عجب إلى عجب
ست وعشرون تدعوني فأتبها * إلى المشيب ولم تظلم ولم تحب
فلا يؤرقك إيماض القتير به * فإن ذاك أبتسام الرأي والأدب
وللبحتري
غيرتني المشيب وهي بدته * في عذارى بالصد والإجتنا
لا تريه عارا فما هو بالشيب * ولكنه جلاء الشباب
وبياض البازي أصدق حسنا * إن تأملت من سواد الغراب (٢)

(١) - السمل - محرقة الثوب الخلق ويقال أيضا ثوب أسمال فمن النحويين من جعل
أسمالاً مفرداً لأنه صفة ثوب والصحيح انه على التأويل بالجمع أي أنواع الثوب اسمال
ومثل ذلك برمة أعشار لان أفعالا لم يثبت في المفرد وإنما هو جمع
(٢) الأبيات من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن شهاب مطلعها
ما على الركب من وقوف الركاب * في مغاني الصبا ورسم التصابي
أين أهل القباب بالأجرع الفرد * تولوا لا أين أهل القباب
سقم دون أعين ذات سقم * وعذاب دون الثنايا العذاب
وكمثل الأحباب لو يعلم العاذل * عندي منازل الأحباب
فإذا ما السحاب كان ركاما * فسقى بالرياب دار الرياب
وإذا هبت الجنوب بسقيا * فعلى رسم دارها والجناب
غيرتني المشيب. الأبيات الثلاثة. وبعده
عذلتني في قومه واسترايت * جيئتي في سواهم وذهابي
ورأت عند غيرهم من مديحي * مثل ما كان عندهم من عتابي
ليس من غصبة عليهم ولكن * هو نجم يعلو مع الكتاب
شيعة السؤدد القريب واخوان * التصافي واخوة الآداب
هم أولو المجد إن سالت فان * كاثرت كانوا هم أولى الألباب
ومتي كنت صاحباً لذوي السؤدد * يوما فإنهم أصحابي
وكفاني إذ الحوادث أظلمن * شهاباً بغرة بن شهاب
سبب أول على جود اسما * عيل أغنى عن سائر الاتباب
لاستهلت سماؤه فمطرنا * ذهباً في انهلال ذاك الذهب
لا يزور الوفاء غبا ولا يعشق * غدر الفعال عشق الكعاب
مستعيد على اختلاف الليالي * نسقا من خلأثق أتراب

وله

ها هو الشيب لائما فأفيقي * واتركيه إن كان غير مفيق
فلقد كف من عناء المعنى * وتلافي من إشتياق المشوق
عذلتنا في عشقها أم عمر و * هل سمعتم بالعاذل المعشوق
ورأت لمة ألم بها الشيب * فريعت من ظلمة في شروق
ولعمري لولا الأفاحي لأبصر * ت أنيق الرياض غير أنيق
وسواد العيون لو لم يكمل * ببياض ما كان بالموموق
ومزاج الصهباء بالماء أولي * بصبوح مستحسن وغبوق
أي ليل ييهى بغير نجوم * أو سماء تندى بغير بروق
ويشبه أن يكون أخذ قوله - أي ليل ييهى بغير نجوم - من قول الشاعر
أشيب ولم أقض الشباب حقوقه * ولم يمض من عهد الشباب قديم
رأت وضحا في مفرق الرأس راعها * وشتان مبيض به وبهم

(٥٧)

تفاريق شيب في الشباب لوامع * وما حسن ليل ليس فيه نجوم
ولمحمود الوراق في مثل هذا المعني قوله
ما الدر منظوما بأحسن من * شيب يخلل هامة الكهل
فكأنه فيها النجوم إذا * جد المسير بها على مهل
لا تبكين على الشباب إذا * بكى الجهول عليه للجهل
واشكر لشيبك حسن صحبته * فلقد كساك جلالة الفضل
ولآخر في مدح الشيب
لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله * فالشيب حلية ووقار
إنما تحسن الرياض إذا ما * ضحكت في خلالها الأنوار
[قال الشريف رحمه الله] ولي في هذا المعني من قصيدة
جزعت لو خطات المشيب وإنما * بلغ الشباب مدي الكمال فنورا
والشيب إن فكرت فيه مورد * لا بد يورده الفتى إن عمرا
يبيض بعد سواده الشعر الذي * إن لم يزره الشيب واره الثرى
وممن عدل بين الشباب والشيب ومدح كل واحد منهما طريح بن إسماعيل الثقفي فقال
والشيب للحكماء من سفه الصبا * بدل يكون لذي الفضيلة مقنع
والشيب غاية من تأخر حينه * لا يستطيع دفاعه من يجزع
إن الشباب له لذاذة جدة * والشيب منه في المغبة أنفع
لا يبعد الله الشباب فمرحبا * بالشيب حين أوى إليه المضجع
ومثله لآخر
وكان الشباب الغض لي فيه لذة * فزحزحني عنه المشيب وأدبا

فسقيا ورعيا للشباب الذي مضى * وأهلا و سهلا بالمشيب ومرحبا
(مجلس آخر ٤٦)

[تأويل آية]. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني) الآية. فقال كيف ضمن الإجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب. الجواب قلنا في ذلك وجوه. أولها أن يكون المراد بقوله تعالى (أجيب دعوة الداعي) أي أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أي من لا يسمع وقد يكون أيضا يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع

الله لمن حمده يراد به أجاب الله من حمده. وأنشد ابن الأعرابي دعوت الله حتى خفت أن لا * يكون الله يسمع ما أقول أراد يجيب ما أقول.

وثانيها أنه تعالى لم يرد بقوله تعالى قريب من قرب المسافة بل أراد انني قريب بإجابتي ومعونتي ونعمتي أو لعلمي بما يأتي العبد ويذر وما يسر ويجهر تشبيها بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله ولم يخفف عليه ويكون قوله تعالى أجيب على هذا تأكيد للقرب فكأنه أراد إنني قريب قربا شديدا وإنني بحيث لا يخفى على أحوال العباد كما يقول القائل إذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله أنا بحيث أسمع كلامك وأجيب نداءك أو ما جرى هذا المجرى وقد روى أن قوما

سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا له ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى هذه الآية. وثالثها أن يكون معنى هذه الآية أنني أجيب دعوة الداعي إذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال لأنه إن كان صلاحا فعل ما دعا به وإن لم يكن صلاحا لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو أيضا مجاب إلي دعائه. ورابعها أن يكون معنى دعاني أي عبدني وتكون

الإجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكأنه قال إنني أثيب العباد على دعائهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه. وخامسها ما قاله قوم من أن معنى الآية أن العبد إذا سأل الله تعالى شيئاً في إعطائه صلاح فعل به وأجابه إليه وإن لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاح وخير لم يعطه ذلك في الدنيا وأعطاه إياه في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال. وسادسها أنه تعالى إذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إما أن يجاب دعاؤه وإما أن يخاب له بصرفه عما سأل ودعا فحسن اختيار الله له يقوم مقام الإجابة فكأنه يجاب على كل حال وهذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاح ومنفعة له في الدنيا وإن كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك لأمر يرجع إليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجاباً مع المنع الذي لا يرجع إليه منه شيء من الصلاح اللهم إلا أن يقال إنه دعاء مشروط بأن يكون صلاحاً ولا يكون فساداً وهذا مما تقدم ومعنى قول تعالى (فليستجيبوا لي) أي فليجيبوني وليصدقوا رسلي. قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب إلى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب فقلت ادع أخرى وارفع الصوت ثانياً * لعل أبي المغوار منك قريب (١)

(١) قوله - لعل أبي المغوار - بجر أبي على لغة عقيل فان لعل عندهم تجر في أربع لغات من لغاتها أي ثابتة الأول ومحدوفته مفتوحة الآخر ومكسورته وأما بقية لغات لعل فلا يجر بها عندهم وأبو المغوار بكسر الميم وسكون الغين المعجمة اسمه شبيب وروى * فقلت ادع أخرى وارفع الصوت دعوة * بالنصب على التعليل وروى أبو المغوار بالنصب على أصله وهذان البيتان من قصيدة لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه شبيباً أو لها تقول سليمي ما لجسمك شاحباً * كأنك يحميك الطعام طيب فقلت ولم أعى الجواب لقولها * وللدهر في صم السلام نصيب تتابع أحداثا تخر من إخوتي * وشيين رأسي والخطوب تشيب لعمرى لئن كانت أصابت مصيبة * أخي والمنايا للرجال شعوب لقد كان أما حلمه فمروح * علينا وأما جهله فعزيب ومنها

فان تكن الأيام أحسن مرة * إلى فقد عادت لهن ذنوب إلى أن قال

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة * لعل أبي المغوار منك قريب يجبك كما قد كان يفعل إنه * نجيب لأبواب العلاء طلب قال أبو علي القالي في الأمالي بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب بن سعد الغنوي هو من قومه وليس بأخيه والمرثى بهذه القصيدة يكنى أبا المغوار واسمه هرم وبعضهم يقول اسمه شبيب ويحتج بيت روى في هذه القصيدة * أقام وخلي الظاعنين شبيب

أي لم يجبه. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وإذ كنا قد ذكرنا في المجالس
المتقدمة لهذا المجلس طرفاً من الشعر في تفضيل الشيب وتقديمه والتعزي عنه والتسلي
عن نزوله فنحن متبعوه بطرف مما قيل في ذمه والتألم به والجزع منه. فمن ذلك
قول أبي حية النميري

ترحل بالشباب الشيب عنا * فليت الشيب كان به الرحيل
وقد كان الشباب لنا خليلاً * فقد قضى مآربه الخليل
لعمري أبي الشباب لقد تولى * حميدا ما يراد به بديل
إذ الأيام مقبلة علينا * وظل أراكة الدنيا ظليل
قال الفرزدق

أرى الدهر أيام المشيب أمره * علينا وأيام الشباب أطايبه
وفي الشيب لذات وقرة أعين * ومن قبله عيش تعلل جاذبه
إذا نازل الشيب الشباب فاصلتا * بسيفيهما فالشيب لا شك غالبه

فيا خير مهزوم ويا شر هازم * إذا الشيب وافت للشباب كتائبه
وليس شباب بعد شيب براجع * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
وما المرء منفوعا بتجريب واعظ * إذا لم تعظه نفسه وتجاربه
وأنشد إسحاق الموصلي
لعمرى لئن حللت عن منهل الصبا * لقد كنت وراة المشربة العذب
ليالي أمشى بين بردى لاهيا * أميس كغصن البانة الناعم الرطب
سلام على سير القلاص مع الركب * ووصل الغواني والمدامة والشرب
سلام امرئ لم تبق منه بقية * سوي نظر العينين أو شهوة القلب
ولمنصور النمري
ما تنقضي حسرة مني ولا جزع * إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب ففاتتني بشرته * صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أو في شبابي كنه عرته * حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع (١)

(١) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الرشيد روى أنه دخل عليه وكان عنده
الكسائي فقال له الرشيد أنشدني فأنشده قوله * ما تنقضي حسرة * البيت فتحرك
الرشيد ثم أنشده حتى إنتهى إلى قوله
ما كنت أو في شبابي كنه عرته * حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع
فطرب الرشيد وقال أحسنت والله وصدقت لا والله لا يتهنى أحد بعيش حتى يخطر في
رداء الشباب وأمر له بجائزة سنية ومن أبياتها الحسان قوله
أي امرئ بات من هارون في سخط * فليس بالصلوات الخمس ينتفع
ان المكارم والمعروف أو دية * أحلك الله منها حيث يتسع
إذا رفعت امرأ فالله يرفعه * ومن وضعت من الأقوام متضع
نفسى فداؤك والأبطال معلمة * يوم الوغى والمنايا صابها فزع
روى أن البيدق دخل على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد وبين
يديه خوان لطيف عليه جرمان ورغيفان سميد ودجاجتان فقال لي أنشدني قال البيدق
فأنشدته قصيدة النميري العيلية فلما بلغت إلى قوله
* أي امرئ بات من هارون سخط * الأبيات الأربعة قال فرمي بالخوان بين
يديه وصاح و قال هذا والله أطيب من كل طعام وكل شئ وبعث إليه بسبعة آلاف دينار
قال البيدق فلم يعطني منها ما يرضيني وشخص إلى رأس العين فأغضبني وأحفظني فأنشدت
هارون قوله
ساد من الناس راتع هامل * يعللون النفوس بالباطل
فلما بلغت إلى قوله
ألا مساعير يغضبون لها * بسلة البيض والقنا الزابل
قال أراه يحرض علي ابعثوا إليه من يجئ برأسه فكلمه فيه الفضل بن الربيع فلم يغن
كلامه شيئا وتوجه إليه الرسول فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودفن وروى من
غير هذا الوجه ان العتابي سئل عن سبب غضب الرشيد عليه فقال استقبلت منصور
النمري يوما من الأيام فرأيت مغموما واجما كئيبا فقلت له ما خبرك فقال تركت
امراتي تطلق وقد عسر عليها ولادها وهي يدي ورجلي والقيمة بأمرى وأمر منزلي
فقلت له لم لا تكتب على فرجها هارون الرشيد قال ليكون ماذا قال لتلد على المكان
قال وكيف ذاك قلت لقولك
ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله * أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع
فقال لي يا كشخان والله لئن تخلصت امرأتي لأذكر قولك هذا للرشيد فلما ولدت

امراته خير الرشيد بما كان بيني وبينه فغضب لذلك وأمر بطلي فاستترت عند الفضل بن الربيع فلم يزل يستل في
حتى أذن لي في الظهور فلما دخلت عليه قال لي قد بلغني
ما قلت للنمري فاعتذرت إليه حتى قبل ثم قلت والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذب
على إلا وقوفي على ميله للعلوية فان أراد أمير المؤمنين ان أنشده شعره في مديحهم
فعلت فقال أنشدني فأنشدته قوله
ساد من الناس راتع هامل * يعللون النفوس بالباطل
حتى بلغت إلى قوله
الا مساعير يغضبون لهم * بسلة البيض والقنا الزابل
فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال للفضل بن الربيع احضره الساعة فبعث الفضل في
ذلك فوجده قد توفي فأمر بنبشه ليحرقه فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه

ولمحمد بن أبي حازم
عهد الشباب لقد أبقيت لي حزنا * ماجد ذكرك الا جدلي ثكل
سقيا ورعيا لأيام الشباب وإن * لم يبق منك له رسم ولا طلل
جر الزمان ذيولا في مفارقه * وللزمان على إحسانه علل
وربما جر أذيال الصبا مرحا * وبين برديه غصن ناعم خضل
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها * من الشباب بيوم واحد بدل
كفاك بالشيب عيبا عند غانية * وبالشباب شفيعا أيها الرجل

(٦٣)

ولأبي نواس
كان الشباب مطية الجهل * ومحسن الضحكات والهزل
كان الجميل إذا ارتديت به * ومشيت أخطر صيت النعل
كان البليغ إذا نطقت به * وأصاحت الأذان للمملى
كان المشفع في مآربه * عند الحسان ومدرك التبيل
والباعثي والناس قد هجعوا * حتى أتيت حليلة البعل

(٦٤)

والآمري حتى إذا عزمت * نفسي أعان على بالفعل
فالآن صرت إلى مقاربة * وحططت عن ظهر الصبا رحلي
[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وعلى هذا الكلام حسن طلاوة ومسحة
من اعرابي ليستا لغيره. ولبشار
الشيب كره وكره أن يفارقني * أعجب بشئ على البغضاء مودود
يمضى الشباب ويأتي بعده خلف * والشيب يذهب مفقودا بمفقود
وهذا البيت الأخير يروى لمسلم بن الوليد الأنصاري ومما أحسن فيه مسلم في هذا
المعنى قوله
طرفت عيون الغانيات وربما * أملن إلي الطرف كل مميل
وما الشيب إلا شعرة غير أنه * قليل قذاة العين غير قليل
ولآخره
أهلا بوافدة للشيب واحدة * وإن تراءت بشخص غير مودود
لا أجمع الحلم والصهباء قد سكنت * نفسي إلى الماء عن ماء العنا قيد
لم ينهني كبر عنها ولا فند * لكن صحوت بغصن غير ممدود
أو في بي الحلم واقتاد النهي طلقا * شأوي وعفت الصبا من غير تفنيد
ولقد أحسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب
كان كحلا لمآقيها فقد * صار بالشيب لعينيها قذا
ولغيره
رأت طالعا للشيب أغفلت أمره * فلم تتعهدده أكف الخواضب
فقلت أشيب ما أرى قلت شامة * فقلت لقد شامتك عند الحبايب

ولمحمود الوراق ويروي لمحمد بن حازم
أليس عجيباً بأن الفتى * يصاب ببعض الذي في يديه
فمن بين باك له موجه * و بين معز مغز إليه
ويسلبه الشيب شرخ الشباب * فليس يعزیه خلق عليه
ولأبي دلف
في كل يوم أرى بيضاء طالعة * كأنما طلعت في أسود البصر
لئن قصصتك بالمقراض عن بصرى * - لما قصصتك عن همي وعن فكري
وليحيي بن خالد بن برمك ويروي لغيره
الليل شيب والنهار كلاهما * رأسي بكثرة ما تدور راحهما
يتناهبان نفوسنا ودماءنا * ولحومنا عمدا ونحن نراهما
والشيب إحدي الميتين تقدمت * أولاهما وتأخرت أخراهما
وقد أتى الفحلان المبرزان أبو تمام وأبو عبادة في هذا المعني بكل غريب عجيب. فمن
ذلك
قول أبي تمام
لئن جزع الوحشي منها لرؤيتي * لإنسيها من شيب رأسي أجزع
غدا العمر مختطاً بفودي خطة * طريق الردى منها إلى الموت مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى * وذو الإلف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع * ولكنه في القلب أسود اسفع
ونحن نرجيه على السخط والرضي * وأنف الفتى من ونفسه وهو أجدع
. وله

أصبحت روضة الوصال هشيما * وغدت ريحه البليل سموما
شعلة في المفارق استودعتني * في صميم الفؤاد ثكلا صميما
تستثير الهموم ما اكن منها * صعدا وهي تستثير الهموما
غرة غرة ألا إنما كنت * أغرا أيام كنت بهيما
دقة في الحياة تدعى جلالا * مثل ما سمي اللديغ سليما
حلمتني زعمتم وأراني * قبل هذا التحلم كنت حلما
. وله

لعب الشيب بالمفارق بل * جد فأبكي تماضرا ولعوبا
خضبت خدها إلى لؤلؤ العقد * دما أن رأيت شواتي خضيبا
كل داء يرجى الدواء له إلا * الأفضعين منية ومشيبا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقى * حسناتي عند الحسان ذنوبا
ولئن عبن ما رأين لقد أنكرن * مستنكرا وعبن معيبا
أو تصدعن عن قلبي لكفي بالشيب * بيني وبينهن حسيبا
لو رأى الله أن الشيب فضلا * جاورته الأبرار في الخلد شيبا
[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه. وجدت الآمدي يذكر أن قوما ادعوا
المناقضة على أبي تمام في هذه الأبيات بقوله * فأبكا تماضرا ولعوبا * وقوله
خضبت خدها إلى لؤلؤ العقد * دما أن رأيت شواتي خضيبا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقى * حسناتي عند الحسان ذنوبا
وقوله

* ولئن عبن ما رأين لقد * قالوا كيف ييكن دما على شبيهه ثم يعبته. قال
الآمدي وليس ههنا تناقض لأن الشيب إنما أبكى تماضر ولعوب أسفا على شبابه والحسان

اللواتي عبته غير هاتين المرأتين فيكون من أشفق عليه من الشيب منهن وأسف على
شبابه بكى كما قال الأخطل
لما رأت بدل الشباب بكت له * إن المشيب لأرذل الأبدال
ولم يكن هذه حال من عابه قال وهذا مستقيم صحيح. [قال الشريف المرتضى] رضي الله
عنه

وليس يحتاج في العذر لأبي تمام إلى ما تكلفه الآمدي بل المناقضة زائلة عنه على
كل حال. وإن كان من قد بكى شبابه وتلهف عليه من النساء هن اللواتي أنكرن
مشييه وعبته به وما المنكر من ذلك وكيف يتناقض أن يبكي على شبابه ونزول شبيهه
منهن من رأى الشيب ذنبا وعيبا منكرا وفي هذا غاية المطابقة لأنه لا يبكي الشيب
ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا من رآه منكرا ومعيبا. وقال أبو تمام
راحت غواني الحي عنك غوانيا * يلبسن نأيا تارة وصدودا
من كل سابعة الشباب إذا بدت * تركت عميد القريتين عميدا
أربين بالمرد الغطارف بدنا * غيدا ألفنهم لدانا غيدا
أحلى الرجال من النساء موقعا * من كان أشبههم بهن حدودا
أو قوله - أربين بالمرد - من أرب بالشئ إذا لزمه وأقام عليه يقال أرب وألب بالمكان إذا
أقام فيه

ولزمه يريد انهن لزمهن هوى المرد وأقمن عليه. ورواه قوم أربين بالمرد من
الربا الذي معناه الزيادة يقال قد أربا الرجل إذا ازداد فيقول أربين بالمرد أي ازداد
علينا بهم وجعلن المرد زيادة اخترنهن علينا. ويقال انه أخذ قوله - أحلى الرجال من
النساء - البيت من قول الأعشى
وأرى الغواني لا يواصلن امرأ * فقد الشباب وقد يصلن الأمردا (١)

(١) وقبله

أثوى وقصر ليله ليزودا * فمضى وأخلف من قتيلة موعدا
يجحدن ديني بالنهار واقتضى * ديني إذا وقد النعاس الرقدا
وأرى الغواني الخ. روي عن إسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال غنيت بين يدي
الرشيد وستارته منصوبة
وأرى الغواني لا يواصلن امرأ * فقد الشباب وقد يصلن الأمردا
فطرب واستعاده وأمر لي بمال فلما أردت ان أنصرف قال لي يا عياض كذا وكذا أتغنى
بهذا الصوت وجواري من وراء ستارة يسمعه لولا حرمتك لضربت عنقك فتركته
والله حتى نسيته

ولمنصور النمري قوله
كرهن من الشيب الذي لو رأينه * بهن رأيت الطرف عنهن أزورا
وقول الآخر
أرى شيب الرجال من الغواني * كموقع شيبهن من الرجال
. وقال أبو تمام
شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس * إلا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك القلوب في كل بؤس * ونعيم طلائع الأجساد
طال إنكاري البياض وإن عمرت * شيئا أنكرت لون السواد
زادني شخصه بطلعة ضيم * عمرت مجلسي من العواد
نال رأسي من ثغرة الهم داء * لم ينله من ثغرة الميلاد
ومعنى هذا البيت الأخير ان - الثغرة - وهي الفرجة والثلمة تكون في الشيء ولذلك سمي
كل
بلد جاور عدوا ثغرا كأن معناه مكشوف للعدو ويجوز أن يكون أصله من ثغر الانسان
لأنه أول ما يقابلك من أسنانه وأول ما يظهر عند الكلام وأول ما يسقط فيرى مثلوما
فيشبه الثغر الذي هو البلدة به ويقال أثغر الصبي وأثغر وتسمي تلك الفرجة في موضع

السن ثغرة وفي كل موضع منفرج ومنه ثغرة النحر وأراد بقوله
* نال رأسي من ثغرة الهم * أي وجد الشيب من الهم فرجة دخل على رأسي منها لأن
الهم يشيب لا محالة. وقوله * ما لم ينله من ثغرة الميلاد * أراد بثغرة الميلاد الوقت الذي
يهجم عليه فيه الشيب من عمره لأنه يجد السبيل في ذلك الوقت إلى الحلول برأسه فجعله
ثغرة من هذا الوجه فأراد ان الشيب حل برأسه من جهة همومه وأحزانه ما لم يبلغ
السن التي توجب حلوله به من حيث كبره. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه
ورأيت الآمدي يطعن على قوله * عمرت مجلسي من العواد * ويقول لا حقيقة لهذا
ولا معنى لإنا ما رأينا ولا سمعنا أحدا جاءه عواده يعودونه من المشيب ولا أن أحدا
أمرضه الشيب ولا عزاه المعزون عن الشباب وهذا من الآمدي قلة بصر في نقد
الشعر وضعف بصره بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء ولم يرد أبو تمام
بقوله * عمرت مجلسي من العواد * العيادة الحقيقة التي يغشى فيها العواد مجالس المرضى
وذوي الأوجاع وإنما هذه استعارة وتشبيه وإشارة إلى الغرض خفية فكأنه أراد أن
شخص الشيب لما زارني كثر المتوجعون لي والمتأسفون على شبابي والمتفجعون من
مفارقتهم فكأنهم في مجلسي عواد لي لان من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع
وكنى بقوله * عمرت مجلسي من العواد * عن كثرة من تفجع وتوجع من مشيبه
وهذا من أبي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن وما المعيب إلا من عابه وطعن عليه
ونحن نذكر في المجلس الآتي ما للبحثري في هذا المعنى بمشيئة الله وعونه إن شاء الله
(مجلس آخر ٤٧)

[تأويل آية]. إن سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم
منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون). فقال إذا كان الشجر ليس ببعض للماء كان كما
الشراب بعضا له فكيف جاز أن يقول تعالى ومنه شجر بعد قوله منه شراب وما معني
تسيمون وهل الفائدة في هذه اللفظة هي الفائدة في قوله (والخيل المسومة)

وقوله تعالى (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك). الجواب قلنا في قوله تعالى (منه شجر) وجهان. أحدهما أن يكون المراد منه سقى شجر وشرب شجر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وذلك كثير في لغة العرب ومثله قوله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي حب العجل. والوجه الآخر أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وإنباته شجر فحذف الأول وخلفه الثاني كما قال عوف بن الخرع

أمن آل ليلي عرفت الديارا * بجنب الشقيق خلاء قفارا

أي من ناحية آل ليلي. وقال زهير

أمن أم أو في دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلّم

أراد من ناحية أم أو في. وقال أبو ذؤيب

أمنك البرق أرقته فهاجا * فبت إخاله دهما خلّاجا

. وقال أيضا

أمنك برق أبيت الليل أزقه * كأنه في اعراض الشام مصباح

. وقال الجعدي

لمن الديار عفون بالتهطال * بقيت على حجج خلون طوال

أراد بقيت على مر حجج وتكرار حجج. فأما قوله تعالى (فيه تسيمون) فمعناه

ترعون وترسلون أنعامكم يقال أسام الإبل يسيما أسامة إذا أرهاها وأطلقها فرعت

منصرفه حيث شاءت وسومها أيضا يسومها من ذلك وسامت هي إذا رعت فهي تسوم

وهي إبل سائمة ويقال سمتها إذا قصرتها على مرعى بعينه وسمتها الخسف إذا تركتها

على غير مرعى ومنه قيل لمن أذل وأضيم واهتضم سيم فلان الخسف وسيم خطة الضيم

. قال الكميت بن زيد في الإسامة التي هي الاطلاق في الرعي

راعيًا كان مسيما ففقدناه * وفقد المسيم هلك السوام

. وقال آخر

وأسكن ما سكنت بيطن واد * وأظعن ما ظعنت فلا أسيم
وذهب قوم إلى أن السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما
يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه إلى ما يهواه كما تذهب سوام الإبل من المواشي حيث
شاءت. وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على أن الإبل
وغيرها لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وتفوت الراعي ويخفى عليه مقاصدها
وحمله آخرون على أن السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه لأن السلعة المباعة
تستتر عيوبها أو بعضها فيدخل ذلك في بيع الغرر المنهي عنها. وأما الخيل المسومة
فقد قيل إنها المعلمة بعلامات مأخوذة من السيماء وهي العلامة. وروى عن الحسن
البصري في قوله تعالى (والخيل المسومة) قال سومت نواصيها وأذناها بالصوف
. وقيل أيضا إن المسومة) قال هي الحسان وروى عن مجاهد في قوله تعالى (والخيل
المسومة) قال هي المطهمة الحسان. وقال آخرون بل هي الراعية وقد روى ذلك
عن سعيد بن جبير وكل يرجع إلى أصل واحد وهو معنى العلامة لأن تحسين الخيل
يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتميز لمكانها وقد قيل إن السوم من الراعي
يرجع إلى هذا المعنى أيضا لأن الراعي يجعل في المواضع التي يرعاها علامات أو
كالعلامات

بما يزيله من نباتها ويمحوه من آثارها فكأن الأصل في الكل متفق غير مختلف. وقال
لبيد في التوسيم الذي هو التعليم
وغداة قاع القريتين أتيتهم * رهوا يلوح خلالها التسويم
أراد التعليم. وأما قوله في الملائكة (مسومين) فالمراد به المعلمين. وكذلك قوله تعالى
(حجارة من سجيل منضود مسومة) أي معلمة وقيل إنها كان عليها كأمثال الخواتيم
وقال في الملائكة مسومين أي معلمين. [قال المرتضى] رضي الله عنه ونعود إلى ما كنا
وعدنا به من ذكرنا للبحثري في ذم الشيب والتألم من فقد الشباب فمن ذلك قوله
وكنتم أرجى في الشباب شفاعا * فكيف لباعي حاجة بشفيعه

مشيب كنت السر أعيي بحمله * محدثه أو ضاق صدر مذيعة
تلاحق حتى كاد يأتي بطيئه * لحت الليالي قبل آتي سريعه
وما أحسن هذا من كلام وأبلغه وأطبعه. وقال أيضا
ردى علي الصبا إن كنت فاعلة * إن الصبا ليس من شأني ولا أربي
جاوزت حد الشباب النضر ملتفتا * إلى بنات الصبا يركضن في طلبي
والشيب مهرب من جارى منيته * ولا نجاه له من ذلك الهرب
والمرء لو كانت الشعرى له وطنا * صبت عليه صروف الدهر من صبيب (١)

(١) الأبيات من قصيدة له يمدح بها إسماعيل بن يليل مطلعها
إليك ما أنا من. لهو ولا طرب * منيت منى بقلب غير منقلب
ردى على الصبا إن كنت فاعلة * ان الهوى ليس من شأني ولا أربي
جاوزت حد الشباب النضر ملتفتا * إلى بنات الصبا يركضن في طلبي
والشيب مهرب من جارى منيته * ولا نجاه له من ذلك الهرب
والمرء لو كانت الشعرى له وطنا * حطت عليه صروف الدهر من صبيب
قد أقذف العيس من ليل كأن له * وشيا من النور أو أرضا من العشب
حتى إذا ما انجلت أخراره عن أفق * مضمح بالصباح الورد مختضب
أوردت صادية الآمال فانصرفت * بريها وأخذت النجح من كشب
هاتيك أخلاق إسماعيل في تعب * من العلى والعلى منهن في تعب
أتعبت شكري فأضحى منك في نصب * فاذهب فمالى في جدواك من أرب
لا أقبل الدهر نيلا لا يقوم به * شكري ولو كان مسديه إلي أبي
لما سألتك وافاني نداك على * أضعاف ظني فلم أخفق ولم أحب
لم يخط مأبض جلسات تعمدها * فشك ذا الشعبة الطولي فلم يصب
لأشكرنك إن الشكر نائله * أبقى على حاله من نائل النشب
بكل شاهدة اللقوم غائبة * عنهم جميعا ولم تشهد ولم تغب
مرصوفة باللالى من نوادرها * مسبوكة اللفظ والمعنى من الذهب
ولم أحابك في مدح تكذبه * بالفعل منك وبعض المدح من كذب

ويروى - حطت عليه صروف - . وقال البحتري
لابس من شبيبة أم ناض * ومليح من شبيبة أم راضي
وإذا ما امتعضت من ولع الشيب * برأسي لم يغن ذاك امتعاضي
ليس يرضى عن الزمان مرو * فيه إلا عن غفلة أو تغاض
والبواقى من الليالي وإن خالفن * شيئاً فمشبهات المواض -
ناكرت لمتى وناكرت منها * سوء هذى الأبدال والأعواض
شعرات أقصهن ويرجعن * رجوع السهام في الأغراض
وأبت تركي الغديات والآصال * حتى خضبت بالمقراض
غير نفع إلا التعلل من شخص * عدو لم يعده إغاضي
ورواء المشيب كالبحص في عيني * فقل فيه في العيون المراض
طبت نفساً عن الشباب وما سود * من صبغ برده الفضفاض
فهل الحادثات يا بن عويف * تاركاتي ولبس هذا البياض
وقال أيضاً
تعيب الغانيات على شبيبي * ومن لي أن أمتع بالمعيب

ووجدى بالشباب وإن تولى * حميدا دون وجدى بالمشيب
وقال أيضا
أرئيته من بعد جثل فاحم * جون المفارق بالنهار خضيبا
فعجبت من حالين خالف فيهما * صرف الزمان وما رأيت عجيبا
إن الزمان إذا تتابع خطوه * سبق الطلوب وأدرك المطلوب
وقال أيضا
رأت فلتات الشيب فابتسمت لها * وقالت نجوم لو طلعت بأسعد
أعانتك ما كان الشباب مقربي * إليك فالحي الشيب إذ كان مبعد
وقال أيضا
غشت كبدي قسوة منك ما إن * تزال تجدد فيها ندوبا
وحملت عنك ذنب المشيب * حتى كأني ابتدعت المشيبا
ومن يطلع شرف الأربعين * يحي من الشيب زورا غريبا
[قال الشريف المرتضى] رحمه الله. ولي في هذا المعنى
قلن لما رأين وخطا من الشيب * برأسي أعيا علي مجهودي
كسنا بارق تعرض وهنا * في حواشي بعض الليالي السود
أبياض مجدد من سواد * كان قدما لا مرحبا بالجديد
يا لحاكن من رماكن بالحسن * لتقهرننا بغير جنود
ليس بيض منى فأجرى عليهن * صدودا أوليس فيكن سود
قل ما ضركن من شعرات * كن يوما على الوقار شهودي

وقال البحتري أيضا
خلياه وجدة اللهو ما دام * رداء الشباب غضا جديدا
إن أيامه من البيض بيض * ما رأين المفارق السود سودا
وقال أيضا
ترك السواد للابسيه وبيضا * ونضامن الستين عنه مانضا
وسباه أعيد في تصرف لحظه * مرض أعل به القلوب وأمرضا
فكأنه وجد الصبا وجديده * دينا دنا ميقاته أن يقتضى
أسيان أثرى من جوى وصبابة * وأساف من وصل الحسان وأنقضا (١)
ويروى - أسوان - . وقال أيضا
هل أنت صارف شيبة إن غلست * في الوقت أو عجلت عن الميعاد
جاءت مقدمة أمام طوالع * هذي ترا وحنني وتلك تغادي
وأخو الغبينة تاجر في لمة * يشرى جديد بياضها بسواد
لا تكذبن فما الصبا بمخلف * لهوا ولا زمن الصبا بمعاد
وأرى الشباب علي غضارة حسنه * وجماله عددا من الأعداد
وقال أيضا
أيثني الشباب أم ما تولى * منه في الدهر دولة ما تعود
لا أرى العيش والمفارق بيض * إسوة العيش والمفارق سود
وأعد الشقي جد ولو أعطي * غنما حتى يقال سعيد

(١) - أساف - الرجل إذا هلك إبلاه

من عدته العيون وانصرفت عنه * إلتفاتا إلى سواء الخدود
وقال أيضا

قد منى فما جري السقم إلا * في ضلوع على جوى الحب تحنى
لو رأت حادث الخضاب لأنت * وأرنت من احمرار اليرني
كلف البيض بالمعر قدرا * حين يكلفن والمصغر سنا
يتشاغفن بالغرير المسمي * من تصاب دون الجليل المكني
وقال أيضا

أخي إن الصبا استمر به * سير الليالي فأنهجت برده
تصد عني الحسان مبعدة * إذ أنا لأقربه ولا صده
شيب على المفرقين يارضه * يكثرني أن أبينه عدده
تطلب عندي الشباب ظالمة * بعيد خمسين حين لا تجده
لا عجب إن ملك خلتنا * فافتقد الوصل منك مفتقده
من يتناول على مطاولة العيش * تقعقع من ملة عمدته

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه. ورأيت الآمدي وقد أخطأ في معني البيت
الأخير لأنه قال معني يتقعقع من ملة عمدته أي عظامه يجيء لها صوت إذا قام وقعد من
كبره وضعفه قال وقوله - من ملة - أي من تملى العيش يريد طوله ودوامه ومنه تمليت
حبيبك والأمر بخلاف ما توهمه ومعنى - تقعقع من ملة عمدته - أي من تناول عمره
تعجل ترحله وانتقاله من الدنيا وكنى عن ذلك بتقعقع العمد وهذا مثل معروف للعرب
يقولون من يتجمع يتقعقع عمدته يريدون أن التجمع داعى التفرق وان الاجتماع يعقب
ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذي يتقعقع معه العمد. [قال الشريف المرتضى] رضي الله
عنه

والآمدي مع كثرة ما يدعيه من التنقيب و التنقير على علوم العرب إن كان لم

يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف وإن كان قد سمعه وجهل ان معني بيت البحتري يطابقه فهو أطرف. فأما قوله - من ملة - فإنما أراد به من ملل وملة فعلة من الملل وكيف يكون من تملى العيش ولم يسمع في تمليت مله وهذا خطأ على خطأ. وقال البحتري

ما كان شوقي ببدع يوم ذاك ولا * دمعي بأول دمع في الهوى سفحا
ولمة كنت مشغوبا بجذتها * فما عفا الشيب عنها لا ولا صفحا
وقال أيضا

وما أنس لا أنس عهد الشباب * وعلوة إذ غيرتني الكبر
كواكب شيب علقن الصبا * فقللن من حسنه ما كثر
وإني وجدت ولا يكذب * سواد الهوي في بياض الشعر
ولا بد من ترك إحدى اثنتين * إما الشباب وإما العمر
قال الآمدي وعليه في قوله - ولا بد من ترك إحدى اثنتين - معارضة وهو أن يقال إن من مات شابا فقد فارق الشباب وفاته العمر فهو تارك لهما معا ومن شاب فقد فارق الشباب وهو مفارق للعمر لا محالة فهو أيضا تارك لهما جميعا. وقوله إما وإما لا توجب الا أحدهما قال والعدر للبحتري أن يقال إن من مات شابا فقد فارق الشباب وفاته العمر وحده لأنه لا يعمر فيكون مفارقا للعمر ألا ترى أنهم يقولوا عمر فلان إذا أسن وفلان لم يعمر إذا مات شابا ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقا للشباب في حال موته لأنه قد قطع أيام الشباب وتقدمت مفارقتة له وإنما يكون في حال موته مفارقا للعمر وحده فإلى هذا ذهب البحتري وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التي يعمرها الانسان وإنما أراد بالعمر ههنا الكبر كما قال زهير
رأيت المنايا خبط عشوى فمن تصب * تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم
[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه. وما رأيت أشد تهافتا في الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وهو أظهر من

أن يخفى حتى يحتاج فيه إلى هذا التعليل والتعسف وإنما أراد البحتري أن الإنسان بين حالين إما أن يفارق الشباب بالشيب أو العمر بالموت فمن مات شابا وإن كان قد خرج من العمر وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فإنه لم يفارق الشباب وحده وإنما فارق العمر الذي فارق بمفارقه الشباب وغيره وقسمة الرجل تناولت أحد الأمرين إما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولا يكون ذلك إلا بالشيب أو مفارقة العمر بالموت وتلخيص كلامه إنه لا بد للحي من شيب أو موت فكأن الشيب والموت متعاقبان والبحتري إنما جعل قوله العمر مقام الحياة والبقاء وإنما قال العمر لأجل القافية مع أنه مبين عن مراده ولو قال ولا بد من ترك الحياة أو ترك الشباب لقام مقام قوله العمر. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي فتقها قوله يذم من جعل مصيبة غيره مصيبته له وعاب من تعلل بالتأسي بما نال غيره وهو يرثي شبابه وأحسن

يا شبابي وأين مني شبابي * آذنتني أيامه بانقضاب
لهف نفسي علي نعيمي ولهوى * تحت أفنائه اللدان الرطاب
ومعز عن الشباب مؤس * بمشيب اللدات والأصحاب
قلت لما انتحى بعيد أساة * بمصاب شبابه كمصاب
ليس تأسو كلوم غيري كلومي * ما به ما به وما بي مابي
ولابن الرومي

لهفي على الدنيا وهل لهفة * تنصف منها إن تلهفتها
قبحا لها قبحا علي أنها * أقبح شئ حين كشفتها
وقد يعزيني شباب مضى * ولذة للعيش أسلفتها
فكرت في خمسين عاما مضت * كانت أمامي ثم خلفتها

جهلتها إذ هي موفورة * ثم مضت عنى فعرفتها
ففرحة الموهوب أعدمته * و ترحة المسلوب ألحفتها
لو أن عمري مائة هدني * تذكرني أنني تنصفتها
وله في هذا المعنى وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمالي السالفة وقد أحسن فيها كل
الإحسان

كفى بسراج الشيب في للرأس هاديا * لمن قد أضلته المنايا لياليا
أمن بعد إبداء المشيب مقاتلي * لرامي المنايا تحسبني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه * لشخصي أخلق أن يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمى ولا يرى * فلما أضاء الشيب شخصي رمانيا
(مجلس آخر ٤٨)

[تأويل آية]. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب
عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون). فقال كيف جاءت أو بعد ما لا يجوز أن يعطف عليه
وما الناصب لقوله تعالى (أو يتوب عليهم) وليس في ظاهر الكلام ما يقتضى نصبه
. الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه. أولها أن يكون قوله (أو يتوب
عليهم) معطوفا على قوله ليقطع طرفا والمعنى أنه تعالى عجل لكم هذا النصر ومنحكم
به ليقطع طرفا من الذين كفروا أي قطعة منهم وطائفة من جمعهم أو يكتبهم ويغلبهم
ويهزمهم فيخيب سعيهم وتكذب فيكم ظنونهم أو يغلبهم ما يرون من تظاهر آيات الله
تعالى الموجبة لتصديق نبيه عليه الصلاة والسلام فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله تعالى ذلك
منهم ويتوب عليهم أو يكفروا بعد قيام الحجج وتأكيد البينات والدلائل فيموتوا أو
يقتلوا كافرين فيعذبهم الله تعالى باستحقاقهم النار ويكون على هذا الجواب قوله

تعالى (ليس لك من الأمر شيء) معطوفاً على قوله تعالى (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) أي ليس لك ولا لغيرك من هذا الأمر شيء وإنما هو من الله عز وجل. والجواب الثاني أن يكون أو بمعنى حتى وإلا أن والتقدير ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم وإلا أن يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا (١) فقلت له لا تبك عيناك إنما * نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا

أراد إلا أن نموت فنعدرا وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لأن لقائل أن يقول إن أمر الخلق ليس إلى أحد سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح أن يقول ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم حتى كأنه إذا كان أحد الأمرين كان إليه من الأمر شيء. ويمكن أن ينصر ذلك بأن يقال قد يصح الكلام إذا حمل على المعنى وذلك أن قوله (ليس لك من الأمر شيء) معناه ليس يقع ما تريده وتؤثره من إيمانهم وتوبتهم أو ما تريده من استئصالهم وعذابهم على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها إلا بأن يلفظ الله لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم وتقدير الآية ليس يكون ما تريده من توبتهم أو عذابهم بك إنما يكون ذلك الله تعالى. والجواب الثالث أن يكون المعنى ليس لك من الأمر شيء أو من أن يتوب الله عليهم فأضمر من اكتفاء بالأول وأضمر أن بعدها لدلالة الكلام عليها أو اقتضائه لها وهي مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر وتقدير الكلام ليس لك من الأمر شيء ومن توبتهم وعذابهم. [قال المرتضى] رضي الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم

(١) قوله بكى صاحبي الخ. هو من قصيدته المشهورة ومطلعها
سمالك شوق بعدما كان أبصرا * وحلت سليمى بطن قو فعرعرا
قالها لما ذهب إلى قيصر يستنجد به على بنى أسد بعد قتلهم أباه وعنى بقوله - صاحبي - عمرو
ابن قميئة من قيس بن ثعلبة بن مالك رهط طرفة وهو قديم جاهلي كان مع حجر أبي
امرئ القيس فلما خرج امرؤ القيس إلى الروم صحبه

يطعن على هذا الجواب ويستبعده قال لان الفعل لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذي لا تصرف له على إضمار أن مع الفعل لأنه ليس من كلام العرب عجبت من أخيك ويقوم على معنى عجبت من أخيك ومن أن يقوم لأن أخاك اسم جامد محض لا يعطف عليه إلا ماشا كله قال هذا إنما يستقيم ويصلح في رد الفعل إلى المصدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك على معني كرهت غضبك وان يغضب أبوك فيطرد هذا في المصادر لأنها تؤل بأن فيقول النحويون يعجبني قيامك وتأويله يعجبني أن تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن مثل هذا فيه. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وليس ما ذكره مستبعدا وان لم يضعف هذا الجواب إلا من حيث ذكر فليس بضعيف وذلك أن فيما امتنع منه مثل الذي أجازته لأنه قد أجاز ذلك في المصادر وان لم يجزه في غيرها وقوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم) فيه دلالة الفعل لان الأمر مصدر أمرت أمرا فكأنه تعالى قال ليس لك من أمرتهم أو تأمرهم شيء ولا من أن يتوبوا وجرى ذلك مجري قولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك في رد الفعل إلى المصدر والوجه الأول أقوى الوجوه والله أعلم بما أراد [تأويل خبر]. إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تناجشوا ولا تدبروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه . الجواب قيل له أما النجش فهو المدح والاطراء. قال نابغة بني شيبان يذكر الخمر وترخي بال من يشربها * ونفدى كزمها عند النجش (١)

(١) هو من قصيدة له مشهورة روى أن أبا كامل مولي الوليد بن يزيد غنى

يوما بحضرته

أمدح الكأس ومن أعملها * وأهج قوما قتلونا بالعطش
فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقليل نابغة بني شيبان فأمر باحضاره فاستنشد القصيدة
فأنشده إياها وظن أن فيها مدحا له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم فقال له الوليد لو
سعد جدك لكانت مديحا فينا لا في بني شيبان ولسنا نخليك على ذلك من حظ ووصله
وانصرف. وأول هذه القصيدة قوله

حل قلبي من سليمي نبلها * إذ رمتني بسهام لم تطش
طفلة الأعطاف رؤد دمية * وشواها بختري لم يحش
وكان الدر في أخراصها * يبيض كحلأء أقرته بعش
ولها عينا مهاة في مهى * ترتعي نبت حزامي وتقش
حرة الوجه رخييم صوتها * رطب تجنيه كف المنتقش
وهي من الليل إذا ما عونقت * منية البعل وهم المفترس
. ومنها

أيها الساقى سقته مزنة * من ربيع ذي أهاضيب وطش
أمدح الكأس ومن أعملها * وأهج قوما قتلونا بالعطش
إنما الكأس ربيع باكر * فإذا ما غاب عنا لم نعش
وكان الشرب قوم موتوا * من يقيم منهم لأمر يرتعش
خرس الألسن مما نالهم * بين مصروع وصاح منتعش
من حميا قرقف حصية * قهوة حولية لم تمتعش
ينفع المزكوم منها ريحها * ثم تنفي داءه إن لم تنش
كل من يشربها يألؤها * ينفق الأموال فيها كل هش

أي عند مدحها ومنه النجش في البيع وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير
إرادة لشرائها بل ليقتردى بالزائه في زيادته غيره وأصل النجش استخراج الشيء والتسكير
. عنه قال بعض الفقعيين

أجرش لها يا بن أبي كباش * فما لها الليلة من إنفاش
غير السرى وسائق نجاش * أسمر مثل الحية الخشخاش
ويروى الحشخاش - والنجاش - هو المستثير لسيرها والمستخرج لما عندها منه ومعني -
أجرش
لها - أي أحد لها لتسمع الحذاء فتسير وهو مأخوذ من الجرش وهو الصوت ومعني

- الأنفاس - أراد انها لا تترك ترعى ليلا والنفش أن ترعى الإبل ليلا وقد أنفشتها إذا أرسلتها

ليلا ترعى - والخشخاش - الخفيف الحركة السريع القلب. والنجش في البيوع يرجع معناه إلى هذا أيضا من الزيادة لان الناجش يستثير بزيادته في الثمن ومدحه السلعة الزيادة في ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا أي لا يمدح أحدكم السلعة فيزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيده وقد يجوز أيضا أن يريد بذلك لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعى منفعته ويستثير فائدته وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه الصلاة والسلام لأن قوله ولا تدابروا أشد مطابقة له . ومعني - لا تدابروا - أي لا تهاجروا ويولي كل واحد منكم صاحبه دبر وجهه . قال الشاعر

وأوصى أبو قيس بأن تتواصلوا * وأوصى أبوكم ويحكم أن تدابروا
فكأنه قال عليه الصلاة والسلام لا تتلو بالمدح الذي ليس بمستحق
ولا تهاجروا وتتقاطعوا. فأما قوله عليه الصلاة والسلام - كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه - فقد ذهب قوم إلى أن عرض الرجل إنما هو سلفه من آبائه وأمهاته وما جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة إلى أن عرض الرجل عرض نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر أهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون إنما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك أي من أبدانهم قال ومنه قول أبي الدرداء أقرض من عرضك اليوم من قذفك أراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ودع ذلك قرضا لك عليه ليوم الجزاء والقصاص. واحتج أيضا بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من منزله قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك قال فمعناه قد تصدقت بنفسي وأحللت من يغتابني فلو كان العرض الأسلاف ما جاز أن يحل من سب الموتى لان ذلك إليهم لا إليه. قال ويدل على ذلك أيضا حديث سفيان بن عيينة لو أن رجلا أصاب من عرض رجل شتما ثم تورع من بعده فجاء إلى ورثته بعد موته فأحلوه له لم يكن ذلك

كفارة له ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه إلى ورثته لكننا نرى ان ذلك كفارة له قال ويدل على أن عرض الرجل نفسه قول حسان هجوت محمداً فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء (١) فإن أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء أتهجوه ولست له بكفء * فشر كما لخير كما الفداء أراد فان أبي وجدتي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون وهو الصحيح لعرض موضع المدح والذم من الرجل فإذا قيل ذكر عرض فلان فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ويمدح أو يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر آبائه وأسلافه لأن كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا ان أهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم فلان عرض فلان بين أن يكون ذكره في نفسه بقبيح الأفعال أو شتم سلفه وأباه ويدل عليه قول المسكين الدارمي رب مهزول سمين عرضه * وسمين الجسم مهزول الحسب (٢)

(١) روي أنه لما انتهى إلى هذا البيت قال له النبي صلى الله عليه وسلم جزاؤك على الله الجنة يا حسان ولما انتهى إلى قوله * فان أبي ووالده وعرضي * الخ قال صلى الله عليه وسلم وراك الله يا حسان حر النار ولما انتهى إلى قوله * أتهجوه ولست له بكفء * الخ قال من حضر هذا أنصف بيت قائلته العرب. وقوله - فشر كما لخير كما الفداء - قال السهيلي في ظاهر هذا اللفظ شناعة لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلا وفي كلاهما شر وكذلك خير مثله ولكن سيويوه قال تقول مررت برجل شر منك إذا نقص عن أن يكون مثله وهذا يدفع شناعة عن الكلام الأول ونحو منه قوله عليه الصلاة والسلام شر صفوف الرجال آخرها يريد نقصان حظهم عن حظ الصف الأول كما قال سيويوه ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشر والله أعلم

(٢) ذكر أبو علي القالي العرض بأنواعه فتركنا كل ما لا يتعلق له بموضع البحث فقال والعرض أيضاً ما ذم من الانسان أو مدح يقال فلان نقى العرض أي هو برئ من أن يشتم أو يعاب واختلف فيه فقال أبو عبيدة عرضه آبؤه وأسلافه وخالفه ابن قتيبة فقال عرضه جسده واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في صفة أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون إنما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك يعني من أبدانهم ونصر شيخنا أبو بكر بن الأنباري أبا عبيدة فقال ليس هذا الحديث حجة له لان الاعراض عند العرب المواضع التي تعرق من الجسد قال والدليل على غلط ابن قتيبة في هذا التأويل وصحة تأويل أبي عبيدة قول مسكين الدارمي رب مهزول سمين عرضه * وسمين الجسم مهزول الحسب فمعناه رب مهزول البدن والجسم كريم الآباء قال وأما احتجاجه بيت حسان بن ثابت فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء في أن العرض الجسم فليس كما ذكر لان معناه فان أبي ووالده وآبائي فأنت بالعموم بعد الخصوص ذكر الأب ثم جمع الآباء كما قال الله عز وجل (ولقد آتيناك سبعاً من الثاني والقرآن العظيم) فخص السبع ثم أتى بالقرآن العام بعد ذكره إياها والذي قاله ابن قتيبة قد قاله غيره ويمكن أن ينصر ابن قتيبة بيت مسكين ومعناه رب مهزول الجسم سمين الحسب أي عظيم الشرف وسمين الجسم مهزول الحسب أي ضعيف الشرف اه قلت وبعد بيت مسكين المتقدم أكسبته الورق البيض أبا * ولقد كان لا يدعي لأب - الورق - بفتح الواو وكسر الراء وهي الدراهم المضروبة وكذلك الرقة والهاء عوض عن الواو وقوله - ولا يدعي لأب - أي ولا ينتسب من الدعوة بكسر الدال. المعنى انه كان

مجهول النسب ولم يكن له أب يدعي إليه فلما أعطي ما لا ظهر له نسب واشتهر له أب يدعي إليه. وقوله - ولقد كان - الواو للحال واللام للتأكيد وقد للتحقيق وكان تامة فلا تحتاج إلى خبر. وقوله - ولا يدعي لأب - جملة وقعت حالا أيضا وهي مضارع منفى جاء بالواو وهو قليل والأكثر مجيئه بلا واو

فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضا لان السمن والهزل يرجعان إلى

(٨٦)

شيء واحد وإنما أرادت مهزول كريمة أفعاله أو كريم آباؤه وأسلافه وقد قال ابن عبدل الأسدي

وإني لأستغني فما أبطر الغنى * وأبذل ميسوري لمن يبتغي قرضي
واعسر أحيانا فتشتد عسرتي * وأدرك ميسور الغنى ومعني عرضي
ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وجدت أبا بكر
ابن الأنباري قد رد على ابن قتيبة قوله هذا وطعن على ما احتج به فقال في الحديث
المروى عنه

عليه الصلاة والسلام في وصف أهل الجنة ان المراد بالاعراض مغايب الجسد. وحكى
عن الأموي أنه قال الاعراض المغايب التي تعرق من الجسد نحو الإبطين وغيرهما
وقال في حديث أبي الدرداء معناه من عابك وذكر أسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى
هو المثيب لك. وقال في قول أبي ضمضم معناه انه أحل من أوصل إليه أذى بذكره
وذكر آبائه فلا يحل إلا من أمره إليه. وقال في قول حسان المراد بعرضه أيضا
أسلافه فكأنه قال إن أبي ووالده وجميع أسلافي الذين أمدح وأذم من جهتهم وقال له
عليه الصلاة والسلام فأتني بالعموم بعد الخصوص كما قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم) فأتني بالعموم بعد الخصوص ولم أجده ذكر في خبر سفيان
بن عيينة شيئا وتأويله يقرب من تأويل خبر أبي ضمضم لأن من آذى رجلا بسبه في
نفسه أو سب سلفه وأدخل عليه بذلك وضعاً ونقصاً لم يكن إلى ورثته بعد موته
الاحلال من ذلك لأن الأذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلاً عليهم أيضاً مع دخوله على
المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع إلى غيرهم لم يصح على أن الاحلال من الضرر
وسقوط العوض المستحق عليه وهل يسقط باسقاط مستحقه أم لا فيه كلام ليس هذا
موضعه وقد ذكرناه في مواضع. وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في كل
المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف أو سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فإنه
أقرب إلى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقدر فيما ذكرناه لأننا لم نقل ان العرض
مقصود على سلف الاسلام بل ذكرنا انه موضع الذم والمدح من الانسان ولا فرق

بين سلفه ونفسه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعنا علينا وإنما
ينفع ابن قتيبة أن يأتي بما يدل على أن العرض لا يستعمل إلا في النفس دون السلف
وكل شيء ورد مما المراد بالعرض فيه النفس أو المراد به السلف فهو مؤكد لقولنا في أن
هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح من الانسان وإنما يكون ما استشهدنا به وما
جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لأنه قصر
معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بين بحمد الله. أخبرنا أبو عبيد
الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة
معمر بن المثنى صفريا وكان يكتن ذلك فأنشد لعمران بن حطان (١)
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه * ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
إما تكن ذقت كأسا دار أولها * على القرون فذاقوا نهلة الكاس
قد كنت أبكيك حيناً ثم قد يئست * نفسي فما رد عني عبرتي ياسي
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا الاسناباذاني قال قال
الثوري كنت إذا أردت أن أبسط أبا عبيدة ذكرته بأخبار الخوارج فباعج منه ثبج
بحر فجثته يوما وهو مطرق ينكت الأرض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس

(١) وهو أحد بني ذهل بن ثعلبة وكان رأس القعدة من الصفرية وخطيبهم
وشاعرهم وهذه الأبيات يرثي بها أبا بلال وهو مرداس بن ادية وهي جدته وأبوه
حدير وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة ورواية أبي العباس
يا عين بكى لمرداس ومصرعه * يا رب مرداس اجعلني كمرادس
تركتني هائما أبكى لمرزأتني * في منزل موحش من بعد إيناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه * ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
إما شربت بكأس دار أولها * على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا * منها بأنفاس ورد بعد أنفاس

فسلمت عليه فلم يرد فتمثلت
وما للمرء خير في حياة * إذا ماعد من سقط المتاع
والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر إلى ثم وقال ويحك أتدري من يقوله قلت قطري فقال
اسكت فض الله فاك فلا قلت أمير المؤمنين أبو نعمة ثم انتبه فقال اكتمها على يا ثوري
فقلت هي ابنة الأرض فأنشدني
أقول لها وقد جاشت حياء * من الأبطال ويحك لا تراعي
فإنك لو طلبت حياة يوم * على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا * فما نيل الخلود بمستطاع
وما طول الحياة بثوب مجد * فيطوى عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت منهج كل حي * وداعيه لأهل الأرض داع
ومن لم يغتبط يسأم ويهرم * ويفض به القضاء إلى انقطاع
وما للمرء خير في حياة * إذا ماعد من سقط المتاع (١)

(١) رواية الحماسة

أقول لها وقد طارت شعاعا * من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم * على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا * فما نيل الخلود بمستطاع
وما ثوب الحياة بثوب عز * فيطوى عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي * فداعيه لأهل الأرض داعي
ومن لا يغتبط يسأم ويهرم * وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير في حياة * إذا ماعد من سقط المتاع

فكتبتها وقمت لأنصرف فقال اقعد ثم أنشدني
إلى كم تغازيني السيوف ولا أرى * مغازاتها تدعو إلي حماميا
أقارع عن دار الخلود ولا أرى * بقاء على حال لمن ليس باقيا
ولو قرب الموت القراع لقد أني * لموتي أن يدنو لطول قراعي
أغادى جلاد العالمين كأني * على العسل الماذي أصبح غاديا
وأدعو الكماة للنزال إذا القنا * تحطم فيما بيننا من طعانيا
ولست أرى نفسا تموت وإن دنت * من الموت حتى يبعث الله داعيا
فقال ابن دريد وهذا الشعر أيضا لقطري. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب
قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال جئت أبا عبيدة يوما ومعي شعر عروة بن
الورد فقال فارغ حمل شعر فقير ليقرأ على فقير فقلت ما معي غيره فأنشدني أنت
ما شئت فأنشدني
يا رب ظل عقاب قد وقيت به * مهري من الشمس والأبطال تجتلد
ورب يوم حمى أرعى عقوته * خيلي اقتسارا وأطراف القنا قصد
ويوم لهو لأهل الخفض ظل به * لهوى اصطلاء الوغا إذ ناره تقد
مشهرا موقفي والحرب كاشفة * عنها القناع وبحر الموت يطرد
ورب هاجرة تغلى مراجلها * صخرتها بمطايا غارة تنخد
تجتاب أودية الأفرع آمنة * كأنها أسد يقتادها أسد
فإن أمت حتف نفسي لا أمت كمدا * على الطعان وقصر العاجز الكمد
ولم أقل لم أساق القتل شاربه * في كأسه والمنايا ترع ورد

ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعللون به نفوسكم من أشعار المخانثين والشعر لقطري.
أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد ابن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم
قال كان أبو عبيدة يأنس إلي في أول ما اختلفت إليه ويسألني عن خوارج سجستان
لأنه كان يظنني على رأيهم وكنت أو همه أنني منهم فنالتني منه لذلك عناية خاصة فكان
كثيرا ينشدني أشعارهم ثم يتمثل
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا * وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
قال وأنشدني يوما لرجل من طيء من الخوارج
لا كابن ملحان من شار أخي ثقة * أو كابن علقمة المستشهد الشاري
من صادق كنت أصفيه مخالصتي * فباع داري بأعلى صفقة الدار
إخوان صدق أرجيهم وأحذرهم * أشكو إلى الله إخواني وإحذاري
فصرت صاحب دنيا لست أملكها * وصار صاحب جنات وأنهار
مجلس آخر ٤٩

[تأويل آية]. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت
أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان). فقال ما اليد التي أضافتها اليهود إلى الله
تعالى، وادعوا أنها مغلولة فما نرى ان عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم أن لربه يدا مغلولة
واليهود تتبرأ من أن يكون منها قائل بذلك وما معنى الدعاء عليهم بغلت أيديهم وهو
تعالى ممن لا يصح أن يدعو على غيره لأنه تعالى قادر على أن يفعل ما يشاء وإنما يدعو
الداعي بما لا يتمكن من فعله طلبا له. الجواب قلنا يحتمل أن يكون قوم من اليهود
وصفوا الله تعالى بما يقتضى تناهي مقدوره فجري ذلك مجرى أن يقولوا ان يده مغلولة
لان عادة الناس جارية بأن يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة

عن كذا، وكذا ويده لا تنبسط إلي كذا إذا أرادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد بذلك قوله تعالى في موضع آخر (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) ثم قال تعالى مكذبا لهم (بل يده مبسوطتان) أي انه لا يعجزه شيء وثنى اليدين تأكيدا للأمر، وتفحيما له ولأن ذلك أبلغ في المعنى المقصود من أن يقول بل يده مبسطة. وقد قيل أيضا إن اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطئوا فضله ورزقه وقيل إنهم قالوا على سبيل الاستهزاء إن إله محمد الذي أرسله، يده إلى عنقه إذ ليس يوسع عليه وعلى أصحابه فرد الله قولهم وكذبهم بقوله: (بل يده مبسوطتان) واليد ههنا الفضل والنعمة وذلك معروف في اللغة متظاهر في كلام العرب وأشعارهم ويشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ولا معنى لذلك إلا الأمر بترك إمساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك الاسراف إلى القصد والتوسط ويمكن أن يكون الوجه في تثنية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة لأن الكل وإن كانت نعماً لله فمن حيث اختص كل واحد من الأمرين بصفة تخالف صفة الآخر صاراً كأنهما جنسان وقبيلان ويمكن أيضاً أن يكون تثنية النعمة أنه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة. فأما قوله تعالى (غلت أيديهم) ففيه وجوه. أولها أن لا يكون ذلك على سبيل الدعاء بل على وجه الاخبار منه عز وجل عن نزول ذلك بهم، وفي الكلام ضمير وقد قيل قوله (غلت أيديهم) وموضع غلت نصب على الحال كأنه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال ما غل الله تعالى أيديهم ولعنهم أو حكم بذلك فيهم ويسوغ إضمار قد ههنا كما ساغ في قوله عز وجل (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت) والمعنى وقد صدقت وقد كذبت. وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت أيديهم أو غلت أيديهم فأضمر تعالى الفاء والواو لأن كلامهم ثم واستؤلف بعده كلام آخر ومن عادة العرب أن تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا ألتخذنا هزوا) أراد فقالوا ألتخذنا هزوا، فأضمر تعالى الفاء لتمام كلام موسى عليه الصلاة والسلام

ومنه قول الشاعر

لما رأيت نبطاً أنصاراً * شمرت عن ركبتي الإزاراً

* كنت لها من النصارى جارا

أراد وكنت لها فأضمر الواو. وثالثها أن يكون القول خرج مخرج الدعاء إلا أن معناه التعليم من الله تعالى لنا والتأديب فكأنه تعالى وقفنا على الدعاء عليهم وعلمنا ما ينبغي أن نقول فيهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع بقوله (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) وكل ذلك واضح والمنة لله

[تأويل خبر]. إن سأل سائل عن الخبر الذي روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده. الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس فالخوارج تتعلق به وتدعى ان القطع يجب في القليل والكثير ويستشهد على ذلك بظاهر قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ويتعلق بهذا الخبر أيضا الملحدة والشكاك ويدعون انه مناقض للرواية المتضمنة انتفاء القطع إلا في ربع دينار ونحن نذكر ما فيه. فأول ما نقوله إن الخبر مطعون فيه عند أصحاب الحديث وعلى اسناده أيضا طعن وقد حكى ابن قتيبة في تأويله وجها عن يحيى بن أكثم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجها آخر نحن نذكرهما وما فيهما ونتبعهما بما نختاره. قال ابن قتيبة كنت حضرت يوما مجلس يحيى بن أكثم بمكة فرأيت يذهب إلى أن البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب وإن الحبل من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ ثمنه دنانير كثيرة. قال ورأيت يعجب بهذا التأويل ويبدى فيه ويعيد ويرى أنه قطع به حجة الخصم. قال ابن قتيبة وهذا إنما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير لما يأخذه السارق فيصرفه إلى بيضة تساوى دنانير وحبل لا يقدر السارق على حمله ولا من عادة العرب والعجم أن يقولوا قبح الله فلانا عرض نفسه للضرر في عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك وإنما العادة جارية

بان يقال لعنة الله تعرض لقطع اليد في حبل رث أو أداة خلق أو كبة شعر فكل ما كان من ذلك حقيق كان أبلغ. قال والوجه في الحديث ان الله تعالى لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم (والسارق والسارقة) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما أنزل عليه في ذلك الوقت ثم أعلمه الله تعالى بعد ان القطع لا يكون إلا في ربع دينار فما فوقه ولم يكن عليه الصلاة والسلام يعلم من حكم الله تعالى إلا ما أعلمه الله تعالى ولا كان الله يعرفه ذلك جملة بل يبين له شيئاً بعد شيء. [قال المرتضى] رضي الله عنه ووجدت أبا بكر الأنباري يقول ليس الذي ذكر ابن قتيبة على تأويل الخبر بشيء قال لأن البيضة من السلاح ليست علما في كثرة الثمن ونهاية علو القيمة فتجري مجرى العقد من الجواهر والجواب من المسك الذين يساوي الألوف من الدنانير والبيضة من السلاح ربما اشترت بأقل مما يجب فيه القطع وإنما أراد عليه الصلاة والسلام أنه يكتسب قطع يده بما لا غناء له به لان البيضة من السلاح لا يستغنى بها أحد والجواهر والمسك في اليسير منهما غناء. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه والذي نقوله ان ما طعن به ابن الأنباري على كلام ابن قتيبة متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن فيشبه العقد والجواب من المسك غير أنه يبقى في ذلك أن يقال أي وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليس هما النهاية في التقليل وإن كان كما ذكره ابن الأنباري من أن المعنى انه ليسرق ما لا يستغنى

به فليس ذكر ذلك بأولى من غيره فلا بد من ذكر وجه في ذلك. وأما تأويل ابن قتيبة فباطل لان النبي عليه الصلاة والسلام لا يجوز أن يقول ما حكاه عند سماع قوله تعالى (والسارق والسارقة) لان الآية مجملة مفتقرة إلى بيان ولا يجوز أن يحملها أو يصرفها إلي بعض احتمالاتها دون بعض بلا دلالة على أن أكثر من قال إن الآية مجملة وان ظاهر القول يقتضي العموم ويذهب إلى أن تخصيصها بسارق دون سارق لم يتأخر عن حال الخطاب بها فكيف يصح ما قاله ابن الأنباري ان الآية تقدمت ثم تأخر تخصيص السارق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخا للأول وعلى تأويله هذا يقتضى أن يكون كل الخبر منسوخا وإذا أمكن تأويل أخباره عليه الصلاة والسلام على ما لا يقتضى

رفع أحكامها ونسخها كان أولى. والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبران السارق يسرق الكثير الجليل قتقطع يده ويسرق الحقير القليل فتقطع يده فكأنه تعجيز له وتضعيف لاختياره من حيث باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره. وقد حكى أهل اللغة أن بيضة القوم وسطهم وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة الصيف معظمة وبيضة البلد الذي لا نظير له وإن كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الأضداد وإذا استعمل في الذم فمعناه أن الموصوف بذلك حقير مهين كالبيضة التي تفسدها النعامة فتتركها ملقاة ولا تلتفت إليها فمما جاء من ذلك في المدح قول أخت عمرو

ابن عبد ود ترثيه (١) وتذكر قتل أمير المؤمنين عليه السلام إياه وقيل إن الأبيات لامرأة من العرب غير أخته

لو كان قاتل عمرو غير قاتله * لكنت أبكى عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به * قد كان يدعى قديما بيضة البلد

(١) عمرو بن عبد ود هذا من بني عامر بن لؤي خرج في فرسان من قريش منهم عكرمة بن أبي جهل و هبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب في غزوة الخندق فتيّموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجعلت بهم في السبخة بين سلع والخندق وخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم فقال لعمرو بن عبد ود يا عمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلي خلتين إلا أخذت منه إحداهما قال أجل قال له علي فأني أدعوك إلى الله عز وجل وإلى رسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فأني أدعوك إلى النزال قال ولم يا بن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك قال علي ولكني والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعفره أو ضرب وجهه ثم أقبل على على فتنازلا وتجاولا فقتله علي عليه السلام وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو منبه بن عثمان الداري ونوفل بن عبد الله بن المغيرة

وقال آخر في المدح
كانت قريشا بيضة فتفلقت * فالمخ خالصة لعبد مناف
وقال آخر الذم
تأبى قضاة أن تعرف لكم نسبا * وابنا نزار فأنتم بيضة البلد
أراد أن تعرف فأسكن.
وقال آخر في ذلك

لكنه حوض من أودى بإخوته * ريب الزمان فأمسى بيضة البلد (١)
فقد صار معنى البيضة كله يعود إلى التفخيم والتعظيم. وأما الحبل فيذكر على السبيل
المثل والمراد المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما أعطاني فلان إلا عقالا وما
ذهب من فلان عقل ولا تساوى كذا نقيرا كل ذلك على سبيل المثل والتقليل وليس
الغرض بذكر الحبل الواحد من الحبال على الحقيقة وإذا كان على هذا تأويل الخبر
زال عنه المناقضة التي ظنت وبطلت شبهة الخوارج في أن القطع يجب في القليل والكثير
. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبيد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن
المزرع قال حدثني أبو وهب علي بن ثابت قال قال الأصمعي تصرفت بالأسباب على
باب الرشيد مؤملا بالظفر به والوصول إليه حتى إني صرت لبعض حرسه خدينا فإني
في ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال
أما بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيد مضيقه قد حله التيسير فقال
لي الخادم ادخل فاعلها أن تكون ليلة تغرس في صباحها بالغنى إن فزت بالخطوة عنده

(١) وقبله

لو كان حوض حمار ما شربت به * إلا بإذن حمار آخر الأبد
لكنه حوض من أودى بإخوته ريب الزمان فأمسى بيضة البلد
لو كان يشكي إلى الأموات ما لقي الأحياء * بعدهم من شدة الكمد

فدخلت فواجهت الرشيد في بهوة والفضل بن يحيى إلى جانبه فوقف بي الخادم بحيث يسمع التسليم

فسلمت فرد السلام ثم قال يا غلام أرجه قليلا ليفرخ
روعه إن كان قد وجد للروعة حسا فدنيت قليلا ثم قلت يا أمير المؤمنين إضاءة مجدك
وبهاء كرمك مجيران لمن نظر إليك من اعتراض أذية فقال ادن فدنوت فقال أشاعر أم
رواية فقلت رواية لكل ذي جد وهزل بعد أن يكون محسنا فقال تالله ما رأيت ادعاء
أعم فقلت أنا على الميدان فأطلق من عناني يا أمير المؤمنين فقال قد أنصف القارة من
راماها ثم قال ما معنى هذه الكلمة بديا قال قلت فيها قولان القارة هي الحرة من
الأرض وزعمت الرواة أن القارة كانت رماة للتبابعة والملك إذ أبو حسان فواقف
عسكره عسكر السعد فخرج فارس من السعد قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال أين
رماة العرب فقالت العرب أنصف القارة من راماها (١) فقال لي الرشيد أصبت ثم قال

(١) القارة قبيلة وهم عضل والديش أبناء الهون بن خزيمة وإنما سموا قارة
لإلتفافهم واجتماعهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم في بني كنانة وقريش قال شاعرهم
دعونا قارة لا تنفرونا * فنجفل مثل إجفال الظليم
وهم رماة الحدق في الجاهلية وهم اليوم في اليمن ويزعمون ان رجلين إلتقيا أحدهما
قاري والآخر أسدي فقال القاري ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان شئت
راميتك فقال الآخر قد اخترت المراماة فقال الأسدي قد اخترت المراماة فقال
القاري قد أنصفتني وأنشد
قد أنصفت الفارة من راماها * إنا إذا ما فئة نلفاها
* نرد أولاهها على أخراها *
ثم انتزع له سهمًا وشك فؤاده. وإنما قيل أنصف القارة من راماها في حرب كانت بين
قريش وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة وكانت كنانة مع قريش وهم قوم رماة فلما
التقى الفريقان راماها الآخرون فليل قد أنصفهم هؤلاء إذ ساوهم في العمل الذي
هو شأنهم وصناعتهم

أتروي لرؤية بن العجاج والعجاج شيئا فقلت هما شاهدان لك بالقوا في وان غيبا عن
بصرك بالأشخاص فأخرج من ثني فرشته رقعة ثم قال أنشدني
* أرقني طارق هم طرقا *

فمضيت فيها مضى الجواد في متن ميدانه تهدير بها أشداقي فلما صرت إلى مديحه لبنى أمية
ثبيت لسانني إلي امتداحه للمنصور في قوله
* قلت لزيير لم تصله مزيمه *

فلما أراني قد عدلت من أرجوزة إلى غيرها قال أعن حيرة أم عن عمد قلت عن عمد
تركت كذبه إلى صدقه فيها وصف به المنصور من مجد فقال الفضل أحسنت بارك الله
عليك مثلك يؤهل لهذا المجلس فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد أتروي كلمة
عدي بن الرقاع

* عرف الديار توهمها فاعتادها

قلت نعم قال هات فمضيت فيها حتى صرت إلى وصف الجمل قال لي الفضل ناشدتك الله
أن تقطع علينا ما أمتعنا به السهر من ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب فقال له الرشيد
اسكت فالإبل هي التي أخرجتك من دارك واستلبت تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها
سياطا ثم ضربت بها أنت وقومك فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب الحمد لله فقال
الرشيد أخطأت الحمد لله على النعم ولو قلت أستغفر الله كنت مصيبا ثم قال لي امض في
أمرك فأنشدته حتى إذا بلغت إلى قوله

تزجي أغن كأن إبرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

استوى جالسا ثم قال لي أتخفظ في هذا ذكرنا قلت نعم ذكرت الرواة ان الفرزدق قال
كنت في المجلس وجريير إلى جانبي فلما ابتداء عدي في قصيدته قلت لجريير مسرا إليه
هلم نسخر من هذا الشامي فلما ذقنا كلامه يؤسنا منه فلما قال
تزجي أغن كأن إبرة روقه

وعدى كالمستريح فقال جرير إذا تراه يستلب بها مثلاً قال الفرزدق يا لكع أنه يقول
قلم أصاب من الدواة مدادها
فقال جرير كأن سمعك منحبو في صدره فقال لي اسكت شغلني سبك عن جيد الكلام
(١)

فلما بلغ إلى قوله
ولقد أراد الله إذ ولاكها * من أمة إصلاحها ورشادها
قال الأصمعي قال لي الرشيد ما تراه قال حين أنشده الشاعر هذا البيت فقلت قال كذا
أراد الله فقال الرشيد ما كان في جلالته يقول هذا أحسبه قال ما شاء الله قال وكذا
جاءت الرواية فلما أتيت على آخرها قال لي أتروي لذي الرمة شيئاً قلت الأكثر قال
فماذا أراد بقوله
ممر أمرت فتله أسدية * ذراعيه حلالة بالمصانع
قلت وصف حمار وحش أسمنه بقل روضة تواشجت أصوله وتشابكت فروعه عن
مطر سحابة كانت بنوء الأسد في الذراع فقال الرشيد أرخ فقد وجدناك ممتعا
وعرفناك محسنا ثم قال إني لأجد ملالة ونهض فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في
رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتني يا غلام فقال الفضل قاتل الله الأعاجم أما انها
لو كانت سنديّة لما احتجت إلى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعلي ونعل آبائي كم تعارض
فلا تترك من جواب ممض ثم قال يا غلام تأمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم

(١) وقال أبو العباس يروي ان جريرا دخل إلى الوليد وابن الرقاع العاملي عنده
ينشده القصيدة التي يقول فيها
غلب المساميح الوليد سماحة * وكفى قريش المعضلات وسادها
قال جرير فحسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية * تزجي أغن كأن إبرة روقه * الخ قال فقلت في
نفسى وقع والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به قال فقال * قلم أصاب من
الدواة مدادها * قال فما قدرت حسدا له أن أقيم حتى الصرفت

على هذا الرجل في ليلته هذه ولا يحجب في المستأنف فقال الفضل لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمثل ما أمر لك به وقد أمرت به إلا ألف درهم فتلقى الخادم صباحاً. قال الأصمعي فما صليت غد إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف درهم

(مجلس آخر ٥٠)

[تأويل آية]. إن سأل سائل عن قوله تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور). فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضي أنه هو الفاعل للإيمان فيهم لأن النور ههنا كناية عن الإيمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ولا معنى لذلك غير ما ذكرناه وإذا كان مضيف الإخراج إليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين وهذا خلاف مذهبكم. الجواب قلنا أن النور والظلمة المذكوران في الآية جائز أن يكون المراد بهما الإيمان والكفر وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب فقد تصح الكناية عن الثواب والنعيم في الجنة بأنه نور وعن العقاب في النار بأنه ظلمة فإذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغت إضافة إخراجهم من الظلمات إلى النور إليه تعالى لأنه لا شبهة في أنه عز وجل هو المدخل للمؤمن الجنة والعدل به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه أشبه لأنه يقتضي أن المؤمن الذي ثبت كونه مؤمناً يخرج من الظلمة إلى النور ولو حمل على الإيمان والكفر لتناقض المعنى ولصار تقدير الكلام أنه يخرج المؤمن الذي قد تقدم كونه مؤمناً من الكفر إلى الإيمان وذلك لا يصح وإذا كان الكلام يقتضي الاستقبال في إخراج من ثبت كونه مؤمناً كان حمله على دخول الجنة والعدل به عن طريق النار أشبه بالظاهر على أننا لو حملنا الكلام على الإيمان والكفر لصح ولم يكن مقتضياً لما توهموه ويكون وجه إضافة الإخراج إليه تعالى وإن لم يكن الإيمان من فعله من حيث بين ودل وأرشد ولطف وسهل وقد علمنا أنه لولا هذه الأمور لم يخرج المكلف من الكفر إلى الإيمان فيصح إضافة الإخراج إليه تعالى لكون ما عددناه من

جهته وعلى هذا يصح من أحدنا إذا أشار على غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح والنفع أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول أنا أدخلت فلانا البلد الفلاني وأنا أخرجته من كذا وأنتشته منه ويكون وجه الإضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية الدواعي ألا ترى انه تعالى قد أضاف اخراجهم من النور إلى الظلمات ومن الايمان إلي الطاغوت وان لم يدل ذلك على أن الطاغوت هو الفاعل للكفر

في الكفار بل وجه الإضافة ما تقدم لان الشياطين يغوون ويدعون إلي الكفر ويزينون فعله فتصح اضافته إليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل عدو الله تعالى صد عن طاعته وأغرى بمعصيته يصح إجراء هذه التسمية عليه فكيف اقتضت الإضافة الأولي أن الايمان من فعل الله تعالى في المؤمن ولم تقتض الإضافة الثانية أن الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم. وبعد فلو كان الأمر على ما ظنوه لما صار الله تعالى وليا للمؤمنين وناصر لهم على ما اقتضته الآية والايمان من فعله تعالى لا من فعلهم ولما كان خاذلا للكافرين ومضيفا لولا يتهم إلي الطاغوت والكفر من فعله تعالى فيهم ولما فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولي لفعل الأمرين فيهما ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلا معاند مغالط لنفسه. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري حدثنا أحمد بن حيان قال حدثنا أبو عبد الله بن البطاح قال أخبرنا أبو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج انه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا إلا مناقلة الاخوان الأحاديث وقبلك عامر الشعبي فابعث به إلى يحدثني فدعا الحجاج بالشعبي وجهزه وبعث به إليه وأطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لي قال ومن أنت قال عامر الشعبي قال حياك الله ثم نهض وأجلسه على كرسيه فلم يلبث أن خرج الحاجب إليه فقال ادخل قال فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسي فسلمت فرد السلام ثم أوماً إلى بقضيبه فقعدت عن يساره ثم أقبل على الذي بين يديه فقال ويحك من أشعر الناس قال أنا يا أمير المؤمنين

فأظلم على ما بيني وبين عبد الملك ولم أصبر أن قلت ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي ثم قال هذا الأخطل قلت يا أخطل أشعر منك الذي يقول

هذا غلام حسن وجهه * مقتبل الخير سريع التمام
للحارث الأكبر والحارث * الأصغر والحارث خير الأنام
خمسة آبائهم ما هم هم * خير من يشرب صوب الغمام (١)
فقال عبد الملك ردها على فرددتها حتى حفظها فقال الأخطل من هذا يا أمير المؤمنين فقال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة أشعر مني. قال الشعبي ثم أقبل على عبد الملك فقال كيف أنت يا شعبي قلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث فقال مه فإننا لا نحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منافى قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم أقبل على فقال في النابغة قلت يا أمير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء وذاك أنه خرج يوما وبياه وفد غطفان فقال يا معاشر غطفان أي شعرائكم الذي يقول حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب لأنك شمس والملوك كواكب * إذا طلعت لم يبد منها كوكب لئن كنت قد بلغت عني خيانة * لمبلغك الواشي أغش وأكذب ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

(١) وروى أن الشعبي لما أنشد هذه الأبيات قال الأخطل ان أمير المؤمنين إنما سألني عن أشعر أهل زمانه ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حريا أن أقول كما قلت

قالوا النابغة قال فأيكم الذي يقول
فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
خطا طيف جحن في حبال متينة * تمد بها أيد إليك نوازع
قالوا النابغة قال أيكم الذي يقول
إلى ابن مخرق أعملت رحلي * وراحلي وقد هدت العيون
أتيتك عاريا خلق ثيابي * على خوف تظن بي الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها * كذلك كان نوح لا يخون
قالوا النابغة قال هذا أشعر شعرائكم. ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقال أتحب
أن لك قياضا بشعرك شعر أحد من العرب أو تحب إنك قلته فقال لا والله إلا أنى
وددت أنى كنت قلت أبياتا قالها رجل منا كان والله مغدق القناع قليل السماع قصير
الذراع قال وما قال فأنشده
إنا محيوك فأسلم أيها الطلل * وإن بليت وإن طالت بك الطيل
ليس الجديد به تبقى بشاشته * إلا قليلا ولا ذو خلة يصل
والعيش لا عيش إلا ما تقر به * عين ولا حال إلا سوف ينتقل
إن ترجعي عن أبي عثمان منجحة * فقد يهون على المستنجد العمل (١)

(١) أبو عثمان هو عبد الواحد بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصي بن عبد
شمس بن عبد مناف. وقال مصعب الزبيري هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك
وكان عبد الواحد واليا في المدينة لمروان بن محمد هكذا في خزانة الأدب وهذا الأخير
لا يخفى انه غلط لأن القصة وقعت مع عبد الملك بن مروان بنفسه فكيف يكون عبد
الواحد واليا لابن ابنه ومروان بن محمد أيضا هو آخر ملوك بني أمية ومن القصيدة
أهل المدينة لا يحزنك شأنهم * إذا تخطأ عبد الواحد الأجل
أما قریش فلن تلقاهم أبدا * إلا وهم خير من يحفى وينتعل
ألا وهم جبل الله الذي قصرت * عنه الجبال فما سوى به جبل
قوم هم ثبتوا الاسلام وامتنعوا * رهط الرسول الذي ما بعده رسل
من صالحوه رأى في عيشه سعة * ولا يرى من أرادوا ضره يثل
كم نالني منهم فضلا على عدم * إذ لا أكاد من الإقنار أحتمل
وكم من الدهر ما قد ثبتوا قدمي * إذ لا يزال مع الأعداء ينتضل
فما هم صالحوا من ينتقى عنتي * ولا هم كدروا الخير الذي فعلوا
هم الملوك وأبناء الملوك لهم * والآخذون به والساسة الأول

والناس من يلق خيرا قائلون له * ما يشتهي ولام المختل الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
قال الشعبي فقلت قد قال القطامي أفضل من هذا قال وما قال قلت قال
طرفت جنوب رحالنا من مطرق * ما كنت أحسبه قريب المعنق (١)

(١) وبعده

قطعت إليك بمثل جيد جداية * حسن معلق تو متيه مطوق
ومصر عين من الكلال كأنما * سمر والغبوق من الرحيق المغبق
متوسدين ذراع كل نجية * ومفرج عرق المقد منوق
وجئت على ركب تهديدها الصفا * وعلى كلا كل كالنقل المطرق
وإذا سمعن إلى هما هم رفة * ومن النجوم غوائر لم تلحق
جعلت تميل حدودها آذانها * طربا بهن إلى حذاء السوق
كالمنصتات إلى الغناء سمعنه * من رائع لقلوبهن مشوق
وإذا نظرن إلى الطريق رأينه * كهفا كشاكلة الحصان الأبلق
وإذا تخلف بعدهن لحاجة * حاد يشعشع نعله لم يلحق
وإذا يصيبك والحوادث جمة * حدث حداك إلى أخيك الأوثق
ليت الهموم عن الفؤاد تفرقت * وخلي التكلم للسان المطلق

(١٠٤)

حتى أتيت إلى آخرها فقال عبد الملك بن مروان ثكلت القطامي أمه هذا والله الشعر
قال فالتفت إلي الأخطل فقال يا شعبي إن لك فنونا في الأحاديث وإن لنا فنا واحد
فإن رأيت أن لا تحملي علي أكتاف قومك فادعهم حرصا قلت لا أعرض لك في شيء
من الشعر أبدا فأقمني هذه المرة فقال من يكفل بك قلت أمير المؤمنين فقال عبد الملك
هو علي أن لا يعرض لك أبدا. ثم قال يا شعبي أي شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء
قلت خلساء قال ولم فضلتها علي غيرها قلت لقولها
وقائلة والنعش قذفات خطوها * لتدركه يا لهف نفس على صخر
ألا ثكلت أم الذين غدوا به * إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر
فقال عبد الملك أشعر منها والله ليلي الأخيلية حيث تقول
مهفهف الكشح والسربال منخرق * عنه القميص لسير الليل محتقر
لا يأمن الناس ممساه ومصباحه * في كل حي وإن لم يغز ينتظر
ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته فقلت أي والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة إنني
لمحدثك منذ شهرين لم أفدك إلا أبيات النابغة في الغلام ثم قال يا شعبي إنما أعلمناك هذا
لأنه بلغني أن أهل العراق يتناولون على أهل الشام ويقولون إن كانوا غلبونا على الدولة
فلن يغلبونا على العلم والرواية وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق ثم ردد على أبيات
ليلى حتى حفظتها وإذن لي فانصرفت فكنت أول داخل وآخر خارج. [قال الشريف
المرتضى] رضي الله عنه والصحيح في الرواية أن البيتين اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما
إلى ليلى الأخيلية لأعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة من المراثي
المفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة وهي
إنني أتتني لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر (١)

(١) رواية ثعلب
إنني أتيت بشيء لا أسر به * من عل ولا عجب فيه ولا سخر
وروى أبو زيد في نوادره
إنني أتاني شيء لا أسر به * من عل لا عجب فيه ولا سخر
وروى المبرد في الكامل
إنني أتتني لسان لا أسر بها * من عل لا عجب منها ولا سخر
- اللسان - هنا بمعنى الرسالة وأراد بها نعي المنتشر ولهذا أنت الفعل فإنه إذا أريد به الكلمة
أو الرسالة يؤنث ويجمع على ألسن وإذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع
على ألسنه أي أتاني خبر من أعلى نجد وقيل أراد العالية وقيل من أعالي البلاد ويقال
من علو بتثليث الواو ومن عل بكسر اللام وضمها ومن علا ومن أعلى ومن معال
. وقوله - لا عجب - الخ أي لا عجب منها وإن كانت عظيمة لأن مصائب الدنيا كثيرة ولا
سخر بالموت وقيل معناه لا أقول ذلك سخرية وهو بفتحتين وبضمين مصدر سخر منه

فظلت مكتئبًا حران أندبه * و كنت أحذرهُ لو ينفع الحذر
فجاشت النفس لما جاء جمعهم * وراكب جاء من تثليث معتمر (١)
يأتي على الناس لا يلوى على أحد * حتى التقينا وكانت بيننا مضر (٢)
إن الذي جئت من تثليث تندبه * منه السماح ومنه النهي والغير (٣)

-
- (١) قوله - فجاشت النفس - الخ أي غشت ويقال دارت للغثيان فان أردت انها ارتفعت من جزن أو فزع قلت جشأت بالهمز وروى بدل جمعهم فلهم أي اللذين شهدوا مقتله فلهم بفتح الفاء وتشديد اللام يقال جاء فل القوم أي منهزموهم يستوى فيه الواحد والجمع وربما قالوا فلول وفلال - وتثليث - بكسر اللام وياء ساكنة وثناء أخرى مثلثة موضع بالحجاز قرب مكة - ومعتمر - صفة راكب بمعنى زائر ويقال من عمرة الحج
(٢) قوله - يأتي على الناس - الخ فاعل يأتي ضمير الراكب - ويلوي - مضارع لوى بمعنى توقف وعرج أي يمر هذا الراكب على الناس ولم يعرج على أحد حتى أتاني لأنني كنت صديقه. ويروي دوننا بمعنى قدام بدل بيننا
(٣) قوله - ان الذي جئت - الخ أي فقلت لهذا الراكب ان الذي جئت الخ
- والندب - مصدر ندب الميت من باب نصر بكى عليه وعدد محاسنه. وجملة منه السماح خبر - والنهي - خلاف الأمر - والغير - بكسر المعجمة وفتح المثناة التحتية اسم من غير الشيء فتغير أقامه مقام الغير

تنعى امرأ لا تغب الحي جفنته * إذا الكواكب أخطى نوؤها المطر
وراحت الشول مغبرا مناكبها * شعثا تغير منها الني والوبر (٢)
وألجأ الكلب موقوف الصقيع به * وألجأ الحي من تنفاحها الحجر (٣)

- (١) قوله - تنعى امرأ - الخ رواية أبي العباس يعني بالياء المثناة والنعي خبر الموت يقال نعاه ينعاه. قال الأصمعي كانت العرب إذا مات ميت له قدر ركب راكب فرسا وجعل يسير في الناس ويقول نعاء فلانا أي أنعه وأظهر خبر وفاته وهي مبنية على الكسر - ولا تغب - هو من قولهم فلان لا يغبنا عطاؤه أي لا يأتينا يوم دون يوم بل يأتينا كل يوم - والجفنة - القصعة - وأخطاه - كخطاه تجاوزه - والنوء - سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقبه من المشرق يقابله من ساعته في كل يوم إلى ثلاثة عشر يوما وهكذا كل نجم إلى انقضاء السنة وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها. يريد ان جفانه لا تنقطع في القحط والشدّة
- (٢) قوله - وراحت - هو معطوف على مدخول إذا - والشول - كما في القاموس الشائلة من الإبل وهي ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها والجمع شول على غير قياس. وفي النهاية الشول مصدر شال لبن الناقة أي ارتفع وتسمي الناقة الشول أي ذات شول لأنه لم يبق في ضرعها إلا شول من لبن أي بقية ويكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها. وروى - مباءتها - أي مراوحها بدل منها كبها - ومغبر - يعني من الرياح والعجاج - والتي - بفتح النون الشحم ومصدر نوت الناقة تنوي نواية ونيا إذا سمعت يريد ان الجذب وقلة المرعى خشن لحمها وغيره
- (٣) قوله - وألجأ - معطوف أيضا على مدخول إذا وألجأ اضطر ويروي أحجر يقال أحجرتة أي ألجأته إلى أن دخل حجره - والصقيع - الجليد - وتنفاحه - ضربه وهو مصدر نفحت الريح إذا هبت باردة والضمير للصقيع والباء في به بمعنى على والضمير للكلب - والحجر - بضم الحاء وفتح الحيم جمع حجرة بالضم الغرفة وحظيرة الإبل من شجر. يقول هو في مثل هذه الأيام الشديدة يطعم الناس الطعام

عليه أول زاد القوم قد علموا * ثم المطي إذا ما أرمّلوا جزر (١)
قد تكظم البزل منه حين تبصره * حتى تقطع في أعناقها الجرر (٢)
أخور غائب يعطيها ويسألها * يأبى الظلامة منه النوفل الزفر (٣)
لم تراء أرضا ولم تسمع بساكنها * إلا بها من نوادي وقعه أثر (٤)

(١) قوله - عليه أول - الخ يعني انه يرتب على نفسه زاد أصحابه أولا وإذا نفذ الزاد نحر لهم - وأرمل - الرجل نفذ زاده - والمطي - جمع مطية وهي الناقة - والجزر - بضميتين جمع جزور وهي الناقة التي تنحر وروى بفتحيتين جمع جزرة وهي الناقة والشاة تذبح (٢) يروي * وتفزع الشول منه حين يفجأها * - والكظم - من كظم البعير بالفتح يكظم بالكسر كظوما إذا أمسك عن الجرة وقيل الكظم أن لا تجتر لشدة الفزع إذا رأت السيف - والبزل - جمع بازل وهو الداخل في السنة التاسعة - والجرر - جمع جرة بكسر الجيم فيهما وهي ما يخرج البعير للاجترار. يقول تعودت الإبل انه يعقر منها فإذا رآته كظمت على جرتها - وتقطع - فعل مضارع منصوب بان (٣) - الرغائب - الأشياء التي يرغب فيها يريد يعطي ما يرغب الرجال في ادخاره ويحرصون على التمسك به لنفسه - وأخو - خبر مبتدأ محذوف أي هو أخو رغائب وجملة يعطيها ويسألها مفسرة لوجه الملابس في قوله أخو رغائب - ويسألها - بالبناء للمجهول من السؤال ويروى موضعه ويسلبها بالبناء للمعلوم من السلب - والظلامة - بالضم ومثله الظليمة والمظلومة بكسر اللام وضمها وهو ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما أخذ منك - والنوفل - البحر والكثير العطاء. وقال ثعلب النوفل العزيز الذي ينفل عنه الضيم أي يدفعه - والزفر - الكثير الناصر والأهل والعدة (٤) - نوادي - كل شيء بالنون أوائله وما ندر منه واحده نادية ومنه قولهم لا ينداك منى سوء أبدا أي لا يندر إليك - والوقع - النزول

وليس فيه إذا استنظرت عجل * وليس فيه إذا ياسرته عسر
فإن يصبك عدو في مناوأة * يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر (١)
من ليس في خيره من يكدره * على الصديق ولا في صفوه كدر (٢)
أخو شروب ومكساب إذا عدموا * وفي المخافة منه الجد والحذر (٣)
مزدى حروب ونور يستضاء به * كما أضاء سواد الظلمة القمر (٤)
مهفهف أهضم الكشحين منخرق * عنه القميص لسير الليل محتقر (٥)

-
- (١) ويروي - فقد كان يستعلي وينتصر - والمناوأة - المعادة يقال ناوأ الرجل مناوأة وقيل هي المحاربة ناوأته أي حاربته. قال الشاعر
إذا أنت ناوأ القرون فلم تنوء * بقرنين عزتك القرون الكوامل
(٢) قوله - من ليس في خيره من - الخ رواية المبرد من ليس في خيره شر يكدره - كدره - جعله كدرا يقال تكدر الماء نقيض صفا وكدره غيره جعله كدرا
(٣) - الشروب - جمع شرب وهو جمع شارب كصحب جمع صاحب. ويروي أخو حروب - والمكساب - مبالغة كاسب - والعدم - الفقر وفعله من باب فرح
(٤) - المزدى - بكسر الميم حجر يرمى به ومنه قيل للشجاع انه لمزدى حروب ومعناه انه يقذف في الحروب ويرجم فيها ويروي * كما أضاء سواد الطخية القمر * الطخية بضم المهملة وسكون المعجمة الظلمة والطحياء بالمد الليلة المظلمة يريد انه كامل شجاعة وعقلا فشجاعته كونه يرمى في الحروب وعقله كون رأيه نورا يستضاء به وهما وصفان متضادان غالبا
(٥) - المهفهف - الخميص البطن الدقيق الخصر - والأهضم - المنضم الجنين - والكشح - ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف وهذا مدح عند العرب فإنها تمدح الهزال والضمير وتذم السمن. وفي العباب ورجل منخرق السربال إذا طال سفره فشقت ثيابه - ولسير الليل - متعلق بما بعده وهذا يدل على الجلالة وتحمل الشدائد

طاوى المصير على العزاء منجرد * بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر (١)
لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه * وكل أمر سوى الفحشاء يأتى
معنى - لا يصعب الأمر - أي لا يجده صعبا
لا يتأري لما في القدر يرقبه * ولا يعرض على شرسوفه الصفر (٢)

(١) - الطوى - الجوع وفعله من باب فرح وطوى بالفتح يطوى بالكسر طيا إذا
تعمد الجوع - والمصير - المعارق وجمع مصران كزغيف وزغفان وجمع هذا مصارين
أراد طاوى البطن - العزاء - بفتح العين المهملة وتشديد الزاي المعجمة الشدة والجهد
وقال في الصحاح هي السنة الشديدة - والمتجرد - المتشمر. وقوله - ليلة لا ماء ولا
شجر - أي يرعى وزاد عبد القادر البغدادي هنا بيتا وهو
لا يهتك السر عن أنثى يطالعه * ولا يشد إلى جاراته النظر
ومعناه انه لا ينظر إلى جاراته ولا يشد إليهن النظر من غيره احتراماً له والله أعلم
(٢) - يتأري - لا يتحسب ويتلبث يقال تأري بالمكان إذا أقام فيه أي لا يتلبث
لادراك طعام القدر وجملة - يرقبه - حال من المستتر في يتأري. يمدحه بأن همته ليست في
المطعم والمشرب وإنما همته في طلب المعالي فليس يرقب نضج ما في القدر إذا هم بأمر له
شرف بل يتركها ويمضى - والشرسوف - طرف الضلع - والصفر - دويبة مثل الحية
تكون في البطن تعترى من به شدة الجوع. قال في النهاية في حديث لا عدوى ولا هامة
ولا صفر لان العرب كانت تزعم أن في البطن حية يقال لها الصفر تصيب الانسان إذا جاع
وتؤذيه فأبطل الاسلام ذلك وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم النسئ الذي كانوا
يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفرا هو الشهر الحرام انتهى
ولم يرد الشاعر ان في جوفه صفرا لا يعرض على شراسيفه وإنما أراد انه لا صفر في جوفه
فيعرضه يصفه بشدة الخلق وصحة البلية

- لا يغمز الساق من أين ولا وصب * ولا يزال أمام القوم يقتفر (١)
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه * في كل فج وان لم يغز ينتظر (٢)
تكفيه حزة فلذان ألم بها * من الشواء ويروى شربه الغمر (٣)
لا تأمن البازل الكوماء عدوته * ولا الأمون إذا ما اخروط السفر (٤)
كأنه بعد صدق القوم أنفسهم * باليأس تلمع من قدامه البشر (٥)

- (١) - لا يغمز الساق - لا يجيبها يصف جلده وتحمله للمشاق - والأين - الاعياء
- والوصب - الوجع - والافتقار - بتقديم القاف على الفاء اتباع الآثار. في الصحاح
وقفرت أثره أقفره بالضم أي قفوته واقتفرت مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس
في شرح نوادر أبي زيد يقتفر بالبناء للمجهول ومعناه انه يفوت الناس فيتبع ولا يلحق
(٢) قوله - لا يأمن الناس - أي لا يأمنه الناس على كل حال سواء كان غازيا أم لا
فإن كان غازيا يخافون أن يغير عليهم وان لم يكن غازيا فإنهم في قلق أيضا لأنهم يترقبون
غزوه وينتظرونه
(٣) - الحزة - بضم الحاء المهملة وتشديد الزاي المعجمة قطعة من اللحم قطعت طولا
- والفلذان - جمع فلذة بكسر الفاء فيهما - وألم بها - أصابها يعني أكلها - والغمر - بضم الغين
المعجمة وفتح الميم قدح صغير لا يروى
(٤) - البازل - البعير الذي فطرنا به بدخوله في السنة التاسعة ويقال للناقة بازل أيضا
يستوي فيه الذكر والأنثى - والكوماء - بالفتح الناقة العظيمة السنام - والعدوة - التعدي
فإنه ينحرها لمن معه سواء كانت المطية مسنة كالبازل أو شابة كالأمون وهي الناقة الموثقة
الخلق يؤمن عثارها وضعفها - واخروط - امتد وطال ورواية المبرد
لا تنكر البازل الكوماء ضربته * بالمشر في إذا ما اجلوذ السفر
ومعنى اجلوذ امتد
(٥) - لمع - أضاء - والبشر - بضمين جمع بشير يقول إذا فزع القوم وأيقنوا بالهلاك
عند الحروب أو الشدائد فكأنه من ثقته بنفسه قدامه بشير يبشره بالظفر والنجاح فهو
منطلق الوجه نشيط غير كسلان

قال المبرد لا نعلم بيتا في يمن النقيية وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت
لا يعجل القوم أن تغلي مراجلهم* ويدلج الليل حتى يفسح البصر (١)
عشنا به حقبة حبا ففارقنا* كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر (٢)
أصبت في حرم منا أختا ثقة* هند ابن أسماء لا يهنى الظفر (٣)

- (١) يريد انه رابط الحاش عند الفزع لا يستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن
الاطباخ. وقوله - حتى يفسح البصر - أي يجد متسعا من الصبح وقيل معناه ليس هو
شرها يتعجل بما يؤكل - والمراحل - القدور جمع مرجل
(٢) وروى* عشنا بذلك دهرا ثم ودعنا* و - النصلان - هما السنان وهي الحديد
العليا من الرمح والزج وهي الحديد السفلى ويقال لهما الزجان أيضا وهذا مثل أي كل
شيء يهلك ويذهب
(٣) خاطب المنتشر هند بن أسماء وأراد بالحرم ذا الخلصة ثم دعا عليه والتهنئة
خلاف التعزية وكانت قصة هند بن أسماء ان المنتشر بن وهب الباهلي خرج يريد حج
ذي الخلصة ومعه غلمة من قومه والأقيصر بن جابر أخو بني فراع وكان بنو نفيل
ابن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن
كعب وطريقه عليهم كان من حج ذا الخلصة أهدى له هديا يتحرم به ممن لقيه فلم يكن
مع المنتشر هدي فسار حتى إذا كان بهضب النباع انكسر له بعض غلمته الذين كانوا معه
فصعدوا في شعب من النباع فقالوا في غار فيه وكان الأقيصر يتكهن وأنذر بنو نفيل
بالمنتشر بنو الحارث بن كعب فقال الأقيصر النجاء يا منتشر فقد أتيت فقال لا أبرح حتى
أبرد فمضى الأقيصر فأقام المنتشر وأتاه غلمته بسلاحه وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر
هند بن أسماء المتقدم فسأله أن يفدي نفسه فأبطأ عليه فقطع أنملة ثم أبطأ فقطع منه
أخرى وقد آمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعا وإلهي لا أأمنه ثم قتله
وقتل غلمته انتهى وزاد عبد القادر البغدادي بين البيتين بيتا وهو
فان جز عنا فقد هدت مصابتنا* وإن صبرنا فإننا معشر صبر
- المصابة - بضم الميم بمعنى المصيبة يقال جبر الله مصابه وهو فاعل والمفعول محذوف أي قوانا
والصبر بضمين جمع صبور مبالغة صابر وروي مصيبتنا

لو لم تخنه نفيل وهي خائنة * لصبع القوم ورد ما له صدر (١)
وأقبل الخيل من تثليث مصغية * وضم أعينها رغوان أو حضر (٢)
إما سلكت سبيلا كنت سالكها * فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر
[قال الشريف] رضي الله عنه. وقد رويت هذه القصيدة للدعجاء أخت المنتشر وقيل
ليلي أخته ولعل الشبهة الواقعة في نسبهما إلى ليلي الأخيلية من ههنا والصحيح ما ذكرناه
. أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن
أبي

عبدة قال وفد الأخطل على معاوية فقال إني قد أمتدحتك بأبيات فاسمعها فقال إن

كنت شبهتني

بالحية أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لي فيها وإن كنت قلت في كما

قالت الخنساء

وما بلغت كف امرء متطاول * به المجد إلا حيث ما نلت أطول

وما بلغ المهدون في القول مدحة * وإن صدقوا إلا الذي فيك أفضل

فهاهنا فقال الأخطل والله لقد أحسنت وقد قلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته

فأنشد

إذا مت مات العرف وانقطع الغنى * فلم يبق إلا من قليل مصرد

(١) - صبحه - سقاه الصبوح وهو الشرب بالغداة أراد أنه كان يقتلهم

(٢) - أقبل الخيل - جعلها مقبلة ومقبلة مائلة نحوكم - ورغوان وحضر - موضعان

أي كانت تأتي خيله عليكم في هذين الموضعين وما كانت تنام في منزل إلا فيهما

وردت أكف الراغبين وأمسكوا * عن الدين والدنيا بخلف مجدد
فأحسن صلته. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا إبراهيم بن محمد النحوي قال أخبرنا
أحمد بن يحيى النحوي أن ابن الاعرابي أنشدهم
مررنا عليه وهو يكعم كلبه * دع الكلب ينبج إنما الكلب نابج
قال قوله - يكعم كلبه - أي يشد فاه خوفا أن ينبج فيدل عليه.
وقال آخر

وتكعم كلب الحي من خشية القري * ونارك كالعذراء من دونها ستر
وقد قال الأخطل

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم * قالوا لأهمهم بولي على النار
قال أبو عبد الله وسمعت محمد بن يزيد الأزدي يقول هذا من أهجى ما هجى به جرير
لأنه جعل نارهم تطفيها البولة وجعلهم يأمررون أمهم بالبول استخفافا بها
مجلس آخر ٥١

[تأويل آية]. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا)
الآية. فقال أوليس ظاهر الآية يقتضى انه تعالى يجوز أن يزغ القلوب عن الايمان
حتى تصح مسألته تعالى أن لا يزغها ويكون هذا الدعاء مفيدا. الجواب قلنا في هذه
الآية وجوه. أولها أن يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف
ولا تشق علينا فيه فيفضى بنا ذلك إلى زيع القلوب منا بعد الهداية وليس يمتنع أن
يضيفوا ما يقع من زيع قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم المحنة إليه كما قال عز وجل
في السورة (إنها زادتهم رجسا إلى رجسهم) وكما قال مخبرا عن نوح عليه السلام
(فلم يزدكم دعائي إلا فرارا). فإن قيل كيف يشدد المحنة عليهم.
قلنا بأن يقوى

شهواتهم لما قبحه في عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقا

والثواب المستحق عليهم عظيما متضاعفا وإنما يحسن أن يجعله شاقا تعريضا لهذه المنزلة . وثانيها أن يكون ذلك دعاء بالثبوت لهم على الهداية وامدادهم بالألطف التي معها يستمرون على الايمان فإن قيل وكيف يكون مزيغا لقلوبهم بأن لا يفعل اللطف. قلنا من حيث المعلوم أنه متى قطع إمدادهم بالأطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الايمان ويجرى هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا ومثله قول الفرزدق

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة * لآل تميم أقعدت كل قائم
أراد قعد لها كل قائم فكأنهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا ألطفك فنزيغ ونضل. وثالثها ما أجاب به أبو علي الجبائي محمد بن علي لأنه قال المراد بالآية ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعني هذا السؤال انهم سألوا الله تعالى أن يلفظ لهم في فعل الايمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان أن يزيغ قلوبهم عن الثواب وان يفعل تعالى بهم بدلا منه العقاب. قال فإن قال قائل فما هذا الثواب الذي هو في قلوب المؤمنين حتى زعمتم أنهم سألوا الله أن لا يزيغ قلوبهم عنه وأجاب بأن من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقوله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك) وذكر أن ضد هذا الشرح هو الضيق والحزن اللذان يفعلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك أيضا التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) قال ومن ذلك أيضا كتابته في قلوب المؤمنين كما قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله تعالى أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب لي ضده من العقاب. ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب

عن اليقين والايمان ولا يقتضي ذلك أنه تعالى سئل ما كان لا يجب أن يفعله وما لولا المسألة لجاز فعله لأنه غير ممتنع أن يدعوه على سبيل الانقطاع إليه والافتقار إلى ما عنده بان يفعل تعالى ما نعلم أنه لا بد من أن يفعله وبأن لا يفعل ما نعلم أنه واجب أن لا يفعله تعالى إذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكيا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام (ولا تحزني يوم يبعثون) وكما قال في تعليمنا ما ندعوه به (قال رب احكم بالحق) وكقوله تعالى (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) على أحد الأجوبة وكل ما ذكرناه واضح بحمد الله. [قال الشريف] رضي الله عنه وإني لأستحسن قول الراعي في وصف الأثافي والرماد فلقد طبق وصفه المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده

وأورق من عهد ابن عفان حوله * حواضن آلاف على غير مشرب
وراد الأعالي أقبلت بنحورها * على راسخ ذي شامة متقوب
كأن بقايا لونه في متونها * بقايا هناء في قلائص مجرب
- الأورق - الرماد جعل الأثافي له كالحواضن لاحتضانها له واستدراستها حوله.
وأراد - بوراد الأعالي - أن ألوانها تضرب إلى الحمرة وخص الأعالي لأنها مواضع القدر فلا تكاد تسود - والراسخ - هو الراضع وإنما شبه الرماد بينهن بفصيل بين أظار
- المتقوب - الذي قد انحسر أعلاه وشبه ما سودت النار منهن بأثر قطران على
قلائص جربي - والمجرب - الذي قد جربت إبله. ونظير هذا المعنى بعينه أعنى تشبيهه
تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة
عفى الزرق من أطلال مية فالدحل * فأجماد حوضي حيث زاحمها الحبل (١)

(١) - الزرق - رمال بالدهناء وقيل هي قرية بين النجاج وسمينة وهي صعبة المسالك
- والدحل - بالفتح ماء نجدي الغطفان - والأطلال - جمع طلل محركة وهو الشاخص
من آثار الدار - والأجماد - جمع جمد بالتحريك وهو ما ارتفع من الأرض - وحوضي -
بالفتح ثم السكون مقصور بوزن سكرى اسم ماء لبنى طهمان بن عمرو بن سلمة إلى جنب
جبل في ناحية الرمل - ضايقتها - والحبل - الرمل المستطيل

سوى أن يرى سوداء من غير خلقه * تخاطأها وارثت جاراتها النقل
من الرضعات البيض غير لونها * نبات فراض المرخ واليابس الجزل
كجرباء دست بالهناء فأصبحت * بأرض خلاء أن تقاربها الإبل
قوله - سوداء من غير خلقة - يعنى أثفية لان السواد ليس بخلقة وإنما سودتها النار
. وقوله - تخاطأها النقل - أي تجاوزها فلم تحمل من مكان إلى مكان بل بقيت منفردة
- وارثت جاراتها - بمعنى بجارتها - بمعنى بجارتها أي نقلن عنها الأثافي اللواتي كن
معها - والمرث -

هو المنقول من مكان إلى مكان وأصل ذلك في الجريح والعليل يقال ارتث الرجل
ارتثا إذا حمل من المعركة وبه رمق. قال النضر بن شميل معنى ارتث صرع.
وقال أبو زيد مأخوذ من قولهم ارتثينا رثة القوم إذا جمعوا اردى مناعهم بعد أن يتحملوا
من موضعهم وكلا المعنيين يليق ببيت ذي الرمة لأنه يجوز أن يريد صرعن وبقيت
ثانية قائمة - والرضعات - حجارة بيض بعضها على بعض - والفراض - جمع فرش
وهو الحز يكون في الزند. وعنى ببنات فراض المرخ شرر النار الخارجة من ذلك
الفرض - والمرخ - شجر تتخذ منه الزندة. ومن أمثالهم في كل شجر نار واستمجد
المرخ والعفار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم الذي يفضل على القوم ويزيد عليهم
فكان المعنى كل القوم كرام وأكرمهم فلان (١) ومعنى - كجرباء دست بالهناء - انه

(١) وقال الميداني في تفسيره له يقال مجدت الإبل تمجد مجودا إذا نالت من الخلي
قريبا من الشبع واستمجد المرخ والعفار أي استكثر وأخذ من النار ما هو حسبهما
شبهها بمن يكثر العطاء طلبا للمجد لأنهما يسرعان الورى يضرب في تفضيل بعض الشئ
على بعض. قال أبو زياد ليس في الشجر كله أورى زنادا من المرخ قال وربما كله ولم نر
ذلك في سائر الشجر. قال الأعشى

زنادك خير زناد الملوك * خالط فيهن مرخ عارا
ولو بت تقدح في ظلمة * حصاة بنبع لا وريت نارا
والزند الأعلى يكون من العفار والأسفل من المرخ. قال الكميت

شبه الاتفية المفردة بناقة جرباء قد أفردت وأبعدت عن الإبل حتى لا تجربها ولا
تعديها ومعنى دست بالهناء أي طليت به. وفي معني قول الراعي وراد الأعالي شبه
من قول الشماخ بن ضرار
أقامت على ربعيهما جارتا صفا * كميتا الأعالي جونتاً مصطلاهما (١)

(١) وقبله أمن دمتين عرج الركب فيهما * بحقل الرخامي قد أني لبلاهما
أقامت على جارتا صفا * كميتا الأعالي جونتاً مصطلاهما
وإرث رماد كالحمامة مائل * ونؤيان من مظلومتين كداهما
أقاما لليلي والرباب وزالتا * بذات السلام قد عفا طلالهما
ففاضت دموعي في الرداء كأنها * عزالي شعيب مخلف وكلاهما
ليالي ليلي لم يشب عذب مائها * بملح وحبلانا متين قواهما
ولو دين للبيض الهجان وحالك * من اللون غريب بهيم علامهما
إذا اجتهدا الترويح مدا عجاجة * أعاصير مما يستشير خطاهما
وسر بين كدر بين قد رعت غدوة * على الماء معروف إلي لغاهما
إذا غادرا منه قطاتين ظللتا * أديم النهار تطلبان قطاهما
وإني عداني عنكم غير ماقت * نواران مكتوب على بغاهما
وعنس كألواح الإران نسأتها * إذا قيل للمشبوبتين هماهما
تغالي برجليها إليك ابن مربع * فيا نعم نعم المغتلي مغتلاهما
إذا ما حصيرا زورها لم يعلقا * لها الضفر إلا من أمام رحاهما
كست عضديها زورها وانتحت بها * ذراعا لجوج عوهج ملتقا هما
فباتت بأبلى ليلة ثم ليلة * بحاذة واجتابت نوي عن نواهما
وراحت على الأفواه أفواه غيقة * نجاه بفتلاوين ماض سراهما
أجدت هبابا عن هباب وسامحت * قوى نسعتيها بعد طول إذا هما
ولولا فتى الأنصار ماسك سمعها * ضمير ولا حورانها فقراهما
وإني لأرجو من يزيد بن مربع * حذيته من خيرتين اصطفاهما
حذيته من نائل وكرامة * سعى في بغاء المجد حتى احتواهما

يعنى - بربعيهما - منزلتي المرأتين اللتين ذكرهما ويعنى - بجارتا صفا - الاثفتين لأنهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر. ويمكن في قوله جارتا وجه آخر هو أحسن من هذا وهو أن الاثفتين توضعان قريبا من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما وممسكة للقدر معهما ولهذا تقول العرب رماه بثالثة الأثافي أي بالصخرة أو الجبل وشبه أعلاههما بلون الكميت وهو لون الحجر نفسه لأن النار لم تصل إليه فتسوده - ومصطلاهما جون - أي اسود لان النار قد سفعتة وسودته. وقال الراعي في وصف الأثافي أيضا أذاع بأعلاه وأبقى شريده * ذرى مجنحات بينهن فروج كأن بجزع الدار لما تحملوا * سلائب ورقا بينهن خديج - أذاع بأعلاه - يعنى الرماد لأن السافي طير ظاهره وما علا منه - وأبقى شريده - يريد به الذي أبقى لما شرد على السافي فلم يطيره - وذرى مجنحات - يعنى الأثافي وذرى كل شئ جانبه وما استذريت به منه - والمجنحات - المسبلات منه - والسلائب - جمع سلوب وهي الناقة التي قد سلبت ولدها بموت أو نحر فقد عطفت على حوار آخر - والخديج - الذي قد سقط لغير تمام - والورق - اللواتي ألوانهن كلون الرماد. وفي معنى قول الراعي وأبقى شريده ذرى قول المخبل السعدي

وأرى لها دارا بأغدره السيدان * لم يدرس لها رسم (١)
إلا رمادا هامدا دفعت * عنه الرياح خوالد سحم (٢)
- لا - ههنا بمعنى الواو فكأنه قال وأرى رمادا هامدا ولولا أن إلا ههنا بمعنى الواو لفسد
الكلام ونقض آخره أوله لأنه يقول في آخر البيت ان الخوالد السحم دفعت عنه الرياح
فكيف خبر بأنه قد درس وإنما أراد أنه باق ثابت لان الأثافي دفعت عنه الرياح فلم تستنه إذ
هو من جملة ما لم يدرس بل هو داخل في جملته وللراعي أيضا في الأثافي
أنحن وهن أغفال عليها * فقد ترك الصلاة بهن نارا
شبه الأثافي بنوق أنحن أغفالا لست عليهن سمة ثم أخبر ان الوقود قد أثر فيهن أثرا
كالسمة فالنار السمة تقول العرب ما نار بعيرك أي ما سمته وفي أمثالهم نجارها نارها أي

(١) - الأغدر - جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها وهو
فعيل في معنى مفعول على اطراح الزائد وقد قيل إنه من الغدر لأنه يخون وراده
فينضب عنهم ويغدر بأهله فينقطع عند شدة الحاجة إليه. وقال اللحياني الغدير اسم
ولا يقال هذا ماء غدير وقال الليث الغدير مستنقع الماء ماء المطر صغيرا كان أو كبيرا
غير أنه لا يبقى إلى القيظ إلا ما يتخذه الناس من عد ووجد ووقف أو صهريج أو حائر
قال أبو منصور العد الماء الدائم الذي لا انقطاع له ولا يسمى الماء الذي يجمع في غدير أو
صهريج أو صنع عدا لان العد ما يدوم مثل ماء العين والركية
(٢) - الرماد - دقاق الفحم من حراقة النار وما هبا من الجمر فصار دقاقا والطائفة
منه ومادة. وفي حديث أم زرع زوجي عظيم الرماد أي كثير الأضياف لان الرماد
بكثرة الطبخ - وهامدا - طائفا. قال الأصمعي طفئت النار إذا سكن لهبها وهمدت همودا
إذا طفئت البتة فإذا صارت رمادا قيل هبا يهبو وهو هاب - والخوالد - الصخور. قال
الجوهري قيل لاثافي الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال - وسحم - جمع
سحماء أي سوداء وهو صفة لخوالد

سمتها تدل على كرمها يضرب ذلك للرجل ترى له ظاهرا حسنا يدل على باطن خبره . وقال عدي بن الرقاع العاملي

إلا رواكد كلهن قد اصطلى * حمراء أشعل أهلها إيقادها
كانت رواحل للقدور فعريت * منهن واستلب الزمان رمادها
وقال مالك الجعفي

إلا رواكد بينهن خصاصة * سفع المناكب كلهن قد اصطلى
وقال حميد بن ثور

فتغيرت إلا ملاعبها * ومعرسا من جونة ظهر

عرش الثقاب لها بدار إقامة * للحى بين نظائر وتر

- الجونة - القدر ويقال قدر ظهر وقدور ظهور إذا كانت قديمة - وعرش - أي جعل

مثل العريش يعنى الوقود - والثقاب - ما أثقبت به النار من الوقود - والنظائر - هي

الأثافي - والوتر - الفرد وأراد انها ثلاث. وقال الكميت بن زيد

ولن تحيك أظار معطفة * بالقاع لا تمك فيها ولا ميل

ليست بعوذ ولم تعطف علي ربع * ولا يهيب بها ذو النية الإبل

يعنى الأثافي فشبه عطفها على الرماد بنوق أظار قد عطف على فصيل - والتمك -
انتصاب

السنام - والميل - من صفة السنام أيضا - والعائد - من النوق التي يتبعها ولدها - والربع

الذي نتج في الربيع - والإهابة - الدعاء أهاب بابه إذا دعاها - وذو النية - الذي قد نوى

الرحيل - الإبل - صاحب الإبل. وقال ذو الرمة

فلم يبق إلا أن ترى في محله * رمادا نحت عنه الخيول جنادله

كأن الحمام الوزق في الدار وقعت * على خرق بين الظؤور جواز له

شبه الأثافي بالحمام الورق وجعلها ظؤورا لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بفرخ خرق

قد سقط ريشه - والجوازل - الفراخ واحدها جوزل. وقال البيث
ألا حييا الربع القواء وسلما * ورسم كجثمان الحمامة أدهما
قيل إن الحمام ههنا القطاة وانه شبه ألوان الرسوم من الرماد وموقد نار ودمنة ومجر طنب
وما أشبه الأشياء بألوان ريش القطاة. ومثله لجرير
كأن رسوم الدار ريش حمامة * محاها البلى واستعجمت إن تكلما
ولقد أحسن كله الاحسان كثير في قوله
أمن آل قيلة بالدخول رسوم * وبحومل طلل يلوح قدوم
لعب الرياح برسمه فأجده * جون عواكف في الرماد جثوم
سفع الخدود كأنهن وقد مضت * حجج عوائد بينهن سقيم
وقيل في قوله - فأجده جون عواكف - يعنى الأثافي لأن الريح لما كشفت عنها وظهرت
صارت كأنها هي أجدت الرسم. ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معنى أجدت انها
حملت الرماد الذي أحاطت به من لعب الرياح فبقي بحالة يستدل بها المترسم فكأن الرياح
درست الربع ومحته إلا ما أجده هذه الأثافي من الرماد ومنعت الريح عنه ويجرى
ذلك مجرى قول المخبل * إلا رمادا هامدا * البيت. وقال المرار الفقعي في الأثافي
أثر الوقود على جوانبها * بخدودهن كأنه لطم
ويقال ان أبا تمام الطائي أخذ ذلك في قوله
قفوا نعط المنازل من عيون * لها في الشوق أحشاء غزار
عفت آياتهن وأي ربع * يكون له على الزمن الخيار
اثاف كالخدود لطمن حزنا * ونؤي مثل ما أنقصم السوار
وقد عاب عليه قوله لطمن حزنا بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزبا
ولذلك فائدة وذلك أن لطم الحزن أوجع فتأثيره أبلغ وأظهر وأبين وقد يكون اللطم

لغير الحزن فأما قوله * ونؤي مثل ما انفصم السوار * فمأخوذ من قول الشاعر
نؤي كما انقض الهلال مخافة * أو مثلما فصم السوار المعصم
وقد شبه الناس النؤي بالسوار والخلخال كثيرا أو بغير ذلك. قال كثير
عرفت لسعدى بعد عشرين حجة * بها درس نؤي في المحلة منح (١)
قديم كوقف العاج ثبت حواؤه * مغادر أوتاد برضم موضح
- الوقف - السوار من الذبل ومن العاج - والرضم - صخور عظام - والموضح - الذي
بعضه فوق بعض. وقال بشار
ونؤي كخلخال الفتاة وصائم * أشج على ريب الزمان رقوب
- الصائم الأشج - يعنى الوتد وإنما وصفه بأنه صائم لقيامته وثباته وجعله رقوبا لانفراده
والمرأة الرقوب والشيخ الرقوب الذي لا يعيش له ولد. ومن مستحسن ما وصف به
النؤى قول أبى تمام
والنؤى أهد شطره فكأنه * تحت الحوادث حاجب مقرون (٢)

(١) - درس - بسكون الراء أصله درس بفتحها وسكنت وكل ذلك جائز في كل فعل
ثلاثي فإن كانت عينه حلقية فهو مقيس وإلا فحكمه الضرورة يقال درس الرسم عفا
ودرسته الريح محته لازم متعد - ومنحن - دارس
(٢) البيت من قصيدة يمدح بها الواثق بالله أولها
وأبى المنازل إنها لشجون * وعلى العجومة انها لتبين
فاعقل بنضو الدار نضوك يقتسم * فرط الصباة مسعد وحزين
لا تمنعني وقفة أشفى بها * داء الفؤاد فإنها ماعون
واسق الأثافي من شؤونك ريبها * ان الضنين بدمعه لضنين
والنؤى أهد شطره فكأنه * تحت الحوادث حاجب مقرون
حزن غداة الحزن هاج غليله * في أبرق الحنان منك حنين
سمة الصباة زفرة أو عبرة * متكفل بهما حشا وشؤون
لولا التفجع لادعى هضب الحمى * وصفى المشقر انه محزون

وقال المتنبي في ذلك
قف على الدمنتين بالدو من ريا كخال في وجنة جنب خال
بطلول كأنهن نجوم * في عراض كأنهن ليالي
ونؤي كأنهن عليهن * خدام خرس بسوق خدال (١)
- الخدام - جمع خدمة وهي الخلخال وجعلها خرس لأنها غير قلقة وشبه ما أحرق به
النؤى من الأرض وامتلائها بامتلاء الخلخال من الساق الخدلة وهي الممتلئة

(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي و مطلعها
صلة الهجر لي وهجر الوصال * نكساني في السقم نكس الهلال
فغدا الجسم ناقصا والذي ينقص * منه يزيد في بلبال
قف على الدمنتين. الأبيات الثلاثة. ومنها
ما تريد النوى من الحية الذواق حر الفلا وبرد الظلال
فهو أمضى في الروع من ملك الموت وأسرى في ظلمة من خيال
ولحتف في العز يدنو محب * ولعمر يطول في الذل قال
نحن ركب ملجن في زي ناس * فوق طير لها شخوص الجمال
من بنات الجدیل تمشى بنا في البید * مشى الأيام في الآجال
كل هو جاء للدياميم فيها * أثر النار في سليط الذبال
عامدات للبدر والبحر والضرغامه * ابن المبارك المفضل
من يزره يزور سليمان في الملك * جلالات يوسف في الجمال
وربيع يضاحك الغيث فيه * زهر الشكر من رياض المعالي
نفحتنا منه الصبا بنسيم * ورواحا في ميت الآمال
هم عبد الرحمن نفع الموالي * وبوار الأعداء والأموال

[تأويل آية]. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) إلى قوله (الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون). فقال ما تأويل هذه الآيات وهل البقرة التي نعتت بهذه النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الأول والتكليف واحد والمراد مختلف أو التكليف متغاير. الجواب قلنا أهل العلم في تأويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف أصولهم فمن جوز تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب إلى أن التكليف واحد وإن الأوصاف المتأخرة هي للبقرة المتقدمة وإنما تأخر البيان عن وقت الخطاب ولما سئل القوم عن الصفات ورد البيان شيئاً بعد شيء ومن لم يجوز تأخير البيان

يقول إن التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم إلا ذبح أي بقرة شاؤوا من غير تعيين بصفة ولو أنهم ذبحوا أي بقرة اتفقت كانوا قد امتثلوا الأمر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من أي لون كان لأجزأ عنهم فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الأخيرة. ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال في التكليف الأخير انه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع أنها غير ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها صفراء فاقع لونها ولا فارض ولا بكر فمنهم

من قال إنما يجب أن يكون بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدم فظاهرها ما تقدم الكتاب بالقول الأول أشبه وهو المبنى على جواز تأخير البيان وذلك أنه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا

لرسول عليه الصلاة والسلام (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) فلا يخلوا قولهم ما هي من أين يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها أو عن التي أمروا بها ثانياً على قول من يدعي ذلك وليس يجوز أن يكونوا سألوا عن الصفة التي تقدم ذكرها لأن الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها لأنهم لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أخرى فيستفهموا عنها وإذا صح أن السؤال إنما كان عن صفة البقرة المنكرة التي أمروا في الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله إنها بقرة

لا فإرض ولا بكر من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى (إنها بقرة لا فإرض ولا بكر) من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى (إنها بقرة) من صفتها كذا وكذا بعد قولهم ما هي يقتضي أن يكون كناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم وان الأمر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جواباً لهم بل كان يجب أن يكونوا سأله عن شئ فأجابهم عن غيره وهذا لا يليق بالنبي عليه الصلاة والسلام على أنه لما أراد أن يكلفهم تكليفاً ثانياً عند تفريطهم في الأول على ما يدعيه من يذهب إلى هذا المذهب قد كان يجب أن يجيبهم عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام في غير موضعه وتفريطهم فما أمروا به لا حاجة بهم إلى الاستفهام عنه فيقول في جواب قولهم ما هي إنما كلفهم أي بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم في ترك الامتثال وأخطأتم في الاستفهام مع وضوح الكلام إلا أنكم قد كلفتم ثانياً كذا وكذا لان هذا مما يجب عليه بيانه لإزالة الشك والابهام واللبس فلما لم يفعل ذلك وأجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضي التعلق بالسؤال علم أن الأمر على ما ذكرناه وهب أنه لم يفعل ذلك في أول سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الأسئلة والاستفهامات التي لم تقع على هذا المذهب بموقعها ومع تكرار المعصية والتفريط كيف يستحسن أن يكون جميع أجوبته غير متعلقة بسؤالاتهم لأنهم يسألونه عن صفة شئ فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان بل على أقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في أن الهاء كناية عن ما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم إن البقر تشابه علينا لأنهم لم يقولوا ذلك إلا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلم لم يقل أي تشابه عليكم وإنما أمرهم في الابتداء بأي بقرة كانت وفي الثاني بما اختص باللون المخصوص من أي البقر كان. فإن قيل كيف يجوز أن يأمرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة إلى آخر الكلام ولا يبين ذلك لهم وهذا تكليف ما لا يطاق. قلنا لم يرد منهم أن يذبحوا البقرة في الثاني من حال الخطاب ولو كانت حال الحاجة إلى الفعل حاضرة لما

جاز أن يتأخر البيان لأن تأخيرها عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا شبهة في قبحه وإنما أراد أن يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد رود عليهم عند الحاجة إليه. فإن قيل إذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما أمروا بذبحه فوجوده كعدمه وهذا يخرج من باب الفائدة ويوجب كونه عبثاً. قلنا ليس يجب ما ظننتم لأن القول وإن كان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد أفاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة ولو لم يكن ذلك معلوماً قبل هذا الخطاب فصار مفيداً من حيث ذكرناه وخرج من أن يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا يجب أن يدخلها الاقتراح وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها. فإن قيل ظاهر قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير في امتثال الأمر. قلنا ليس ذلك صريح ذم لأن كادوا للمقاربة وقد يجوز أن يكون التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تكاملت لها تلك الصفة فقد روي أنهم ابتاعوها

بملاء جلدها ذهباً على أن الذم يقتضى ظاهره أن يصرف إلى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التام لأن قوله تعالى (وما كادوا يفعلون) إنما ورد بعد تقدم البيان التام المتكرر ولا يقتضى ذمهم على ترك المبادرة في الأول إلى ذبح بقرة فليس فيه دلالة على ما يخالف ما ذكرناه. فإن قيل لو ثبت تقديراً أن التكليف في البقرة متغاير أي القولين اللذين حكيتموهما عن أهل هذا المذهب أصح وأشبه. قلنا قول من ذهب إلى أن البقرة إنما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط لأن الظاهر به أشبه من حيث إنه إذا ثبت تغاير التكليف وليس في قوله إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض إلى آخر الأوصاف ذكر لما تقدم من الصفات وهذا التكليف غير الأول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه. فأما - الفارض - فهي المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة يقال غرب فارض أي ضخم والغرب الدلو ويقال أيضاً لحية فارضة إذا كانت عظيمة والأشبه بالكلام أن يكون المراد المسنة. فأما - البكر - فهي الصغيرة التي لم تلد فكأنه تعالى قال غير مسنة ولا صغيرة - والعوان - دون المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف التي قد ولدت بطناً أو بطنين يقال حرب عوان إذا لم تكن أول حرب وكانت ثانية وإنما

جاز أن يقول بين ذلك وبين لا يكون إلا مع اثنين أو أكثر لان لفظة ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت زيدا قائما ويقول القائل قد ظننت ذلك وقد ظن ذاك. ومعنى - فاقع لونها - أي خالصة الصفرة وقيل إن كل ناصع اللون بياضا كان أو غيره فهو فاقع وقيل أنه أراد بصفراء ههنا سوداء. ومعنى قوله تعالى (لا ذلول تثير الأرض) أي تكون صبعة لا يذلها العمل في إثارتها الأرض وسقى الزرع. ومعنى مسلمة - مفعلة من السلامة من العيوب. وقال قوم مسلمة من الشية أي لاشية فيها تخالف لونها. وقوله - لاشية فيها - أي لا عيب فيها وقيل لا وضح وقيل لا لون يخالف لون جلدها والله أعلم بما أراد وإياه نسأل التوفيق. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه . كنت أظن أن المتنبي قد سبق إلى معنى قوله في مرثية أخت سيف الدولة طوى الجزيرة حتى جاءني خبر * فرعت فيه بآمالي إلى الكذب حتى إذا لم يدع لي صدقه أملا * شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي حتى رأيت هذا المعني لمسلم بن الوليد الأنصاري وللبحتري. أما الذي لمسلم فقولته في قصيدة يرثي بها سهل بن الصباح وقف العفاة عليك من متحير * وله الرجاء وذى غنى يسترجع ومخادع السمع النعي ودونه * خطب ألم بصادق لا يخدع وقال البحتري يرثي وصيفا التركي إذا جد نادعية توهمت أنه * يكرر من أخباره قول مازح وكنت أظن المتنبي سبق إلى قوله تحل القنا يوم الطعان بعقوتي * فأحرمه عرضي وأطعمه جلدي (١)

(١) - القنا - جمع قناة وهي الرمح - وعقوتي - ساحتي - والعرض - موضع الدم والمدح من الانسان. والمعنى ان الطعن يقع في ساحته فيجعل جلده طعما له ولا ينهزم خوفا من الطعن في عرضه وهو من قصيدة يودع بها ابن العميد عند مسيره قاصدا سيف لدولة ثم قتله فاتك الأسد ومطلعها نسيت وما أنسى عتابا على الصد * ولا خفرا زادت به حمرة الخد ولا ليلة قصرتها بقصيرة * أطالت يدي في جيدها صحبة العقد ومن لي بيوم مثل يوم كرهته * قربت به عند الوداع من البعد وإلا يخص الفقد شيئا لأنني * فقدت فلم أفقد دموعي ولا وجدى تمن يلد المستهام بذكره * وإن كان لا يغنى فتىلا ولا يجدى وغيظ على الأيام كالنار في الحشي * ولكنه غيظ الأسير على القد فإما تريني لا أقيم ببلدة * فأفة غمدي في دلوقي وفي حدى يحل القنا يوم الطعان بعقوتي * فأحرمه عرضي وأطعمه جلدي تبدل أيامي وعيشي ومنزلي * نجائب لا يفكرن في النحس والسعد وأوجه فتيان حياء تلثموا * عليهن لا خوفا من الحر والبرد وليس حياء الوجه في الذئب شيمة * ولكنه من شيمة الأسد الورد إذا لم تجزهم دار قوم مودة * أجاز القنا والخوف خير من الود يحيدون عن هزل الملوك إلى الذي * توفر من بين الملوك على الحد

حتى رأيت هذا المعنى بعينه واللفظ لحميم بن شبل الكلابي من أهل الإمامة في قوله
ثني قومه عن خذرجان وقدحنا * إلى الموت دامي الصفحتين كلیم
أخو الحزب إما جلده فمجرح * كلیم وأما عرضه فسلیم
وكنتم أظن البحتري سبق إلى معنى قوله في الفتح بن خاقان
حملت إليه السيف لا عزمك أنثنى * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
حتى وجدت لشاعر متقدم
طعنت ابن دهمان بنجران طعنة * شققت بها عنه مضاعفة السرد

فلا الكف أوهت بي ولا الرمح خانني * ولا الأدهم المنعوت حاد عن القصد
 قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس صفرة اللون في العلل فكل حكى ذلك
 وقال بلا فضيلة إلا البحتري فإنه أغرق من أبيات قال اعرابي من أبيات (١)
 جعلت وما عاينت عطر كأنما * جرى بين جلدي والعظام خلوق
 وقال أبو تمام
 لم يشن وجهه المليح ولكن * جعلت ورد وجنتيه بهارا
 وقال غيره
 ولم تشن شيئا ولكنها * بدلت التفاح بالياسمين
 وقال أبو بكر عيسى الزلفي
 علة زعفرت مورد خد * كاد من رقة وري يفيض
 ولأحمد بن يزيد المهلب
 وقالوا غزت غراء حمى شديدة * فوجنتها منها شديد صفارها
 فقلت لهم هيهات هاتيك روضة * مضى وزدها عنا وجاء بهارها
 ولأبي العتاهية
 وكأنني مما تطاول بي * منك السقام طليت بالورس
 وقال ابن المعتز
 وصفرت علته وجهه * فصار كالدينار من حق
 وقال البحتري
 بدت صفرة في لونه إن حمدهم * من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد

(١) هكذا فيما وقفنا عليه من النسخ على أنه لم يظهر لنا استقامة المعنى فليحذر

وجرت على الأيدي مجسة كفه * كذلك موج البحر ملتهب الوقد
وما الكلب محموما وإن طال عمره * ألا إنما الحمي على الأسد الورد (١)
[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه. أما تشبيه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه
مليح موافق لغرض إلا أنه أخطأ في قوله إن حمدهم * من الدر ما اصفرت نواحيه في
العقد لأن ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبه وترك التعليل لكان أجود. وروى
أبو العباس أحمد بن فارس المنيجي قال حدثنا أبو أحمد عبيد الله بن يحيى البحتري قال
حدثني أبي قال حدثني جدي البحتري قال كنت عند أبي العباس المبرد يوما فتذاكرنا
شعر عمارة بن عقيل فقال أبو العباس لقد أحسن عمارة في قوله لخالد بن يزيد لما وجه
إليه بهذين البيتين

لم أستطع سيرا لمدحة خالد * فجعلت مدحيه إليه رسولا
فليرحلن إلي نائل خالد * وليكفين رواحلي الترحيلا
قال البحتري فقلت له لمروان بن أبي حفصة في عبد الله بن طاهر وقد أتاه نائلة من
الجزيرة ما هو أحسن من هذا وأنشدته
لعمري لنعم الغيث غيث أصابنا * بغداد من أرض الجزيرة وابله
فكنا كحي صبح الغيث أهله * ولم يرتحل أظعانه ورواحله

(١) هي من أبيات يمدح بها إبراهيم بن المدبر ويذكر علة نالته ومطلعها
بأنفسنا لا بالطوارف والنلد * نقيك الذي تخفى من الشكو أو تبدى
بنا معشر العافين ما بك من أذى * فان أشفقوا مما أقول فيبي وحدي
ظللنا نعود المجد من وعكك الذي * وجدت وقلنا اعتل عضو من المجد
ولم ننصف الليث اقتسمنا نواله * ولم نققسم حماه إذ أقبلت تردى
بدت صفرة من لونه الأبيات الثلاثة. وبعدها
ولست ترى عود القتادة خائفا * سموم الرياح الآخذات من الرند

فقال نعم هذا أحسن فقلت له ان لي في بنى السمط وقد أتانى برهم من حمص ما لا يتضع
عن الجميع وأنشدته

جزى الله خيرا والجزاء بكفه * بنى السمط أخذان السماحة والمجد
هم وصلوني و المهامه بيننا * كما أرفض غيث من تهامة في نجد
فقال هذا والله أرق مما قالوا وأحسن. وروي أحمد بن فارس المنيحي عن عبيد الله
ابن يحيى بن البحتري قال حدثنا أبي عن جماعة من أهل العلم والأدب منهم يموت بن
المزرع قال قلت لأبي عثمان الجاحظ من أنسب العرب فقال الذي يقول
عجلت إلى فضل الخمار فأثرت * عذباته بمواضع التقييل
وقال هذا للبحتري في القصيدة التي أولها
صب يخاطب مفحومات طلول (١)

(١) هو مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن إسماعيل الهاشمي
صب يخاطب مفحومات طلول * من سائل باك ومن مسؤول
حملت معالمهن أعباء البلى * حتى كأن نحو لهن نحولي
يا وهب هب لأخيكَ وقفة مسعد * يعطى الأسى من دمه المبدول
أو ما ترى الدمن المحيلة تشتكي * غدرات عهد للزمان محيل
إن كنت تنكرها فقد عرف الهوى * قدما معارف رسمها المجهول
تلك التي لم يعد لها قصد الهوى * مالت مع الواشين كل مميل
عجلت إلى فضل الخمار فأثرت * عذباته بمواضع التقييل
وتبسمت عند الوداع فأشرق * إشراقه عن عارض مصقول
أأخيب عندك والصبأ لي شافع * وأرد دونك والشباب رسولي
ولقد تأملت الفراق فلم أجد * يوم الفراق على امرء بطويل
قصرت مسافته على متزود * منه لدهر صباة وعويل
وإذا الكرام تنازعوا أكرومة * فالفضل للفضل بن إسماعيل
قسموا على أخلاقهم فتفاوتوا * فيهن قسمة غرة وحجول
في كل مكرمة يد مبسوطة * من فاضل منهم به مفضول
لا تطلبن له الشبيه فإنه * قمر التأمل مزنة التأمل
جاز المدى فرمي بغير مناضل * في سؤدد وجرى بغير رسيل
فمتى سمت عين الحسود لفخره * طرفت بطرف من علاه كليل

[وقال الشريف المرتضي] رضي الله عنه. وفي نسيب هذه القصيدة بيت ليس يقصر في
الملاحاة الرشاقة وأخذه بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ وهو
أأخيب عندك والصبا لي شافع * وأرد دونك والشباب رسولي
وفي مديح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو
لا تطلبن له الشبيه فإنه * قمر التأمل مزنة التأمل
وبهذا الاسناد عن يحيى بن البحتري قال انصرفت يوما من مجلس أبي العباس محمد بن
يزيد المبرد فقال لي أبي البحتري ما الذي أفدت يومك هذا من أبي العباس قلت أملى
على أخبارا حسنة وأنشدني أبياتا للحسين بن الضحاك فقال أبي أنشدني الأبيات
فأنشدته

كأنني إذا فارقت شخصك ساعة * لفقدك بين العالمين غريب
وقد رمت أسباب السلو فخانني * ضمير عليه من هواك رقيب
أغرك صفحي عن ذنوب كثيرة * وغضى على أشياء منك تريب
كأن لم يكن في الناس قبلي متيم * ولم يك في الدنيا سواك حبيب
إلى الله أشكو إن شكوت فلم يكن * لشكواي من عطف الحبيب نصيب

فقال ما أحسن هذا الكلام وأنشدني لنفسه
حبيبي حبيب يكتم الناس إنه * لنا حين تلقانا العيون حبيب
يباعدني في الملتقى وفؤاده * وإن هو أبدى لي البعاد قريب
ويعرض عين والهوى منه مقبل * إذا خاف عينا أو أشار رقيب
فتنطق منا أعين حين نلتقي * وتخرس منا ألسن وقلوب
ثم قال يا بني ارو هذين فإنهما من أحسن الشعر وطريقه.
روى أحمد بن فارس

المنيعي عن أبي نصر محمد بن إسحاق النحوي قال سمعت بعض أهل الأدب يقول
للزجاج قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكبره وأنه ما كان يقوم لأحد ولا يتناول له
وينشد إذا أشرف عليه الرجل

ثهلان ذو الهضبات لا يتحلحل (١)

ولقد رأيته يوما وقد دخل عليه رجل متدرع فقام إليه أبو العباس فاعتنقه وتنحي
عن موضعه وأجلسه فجعل الرجل يكفه ويستغفيه من ذلك فلما أكثر من ذلك عليه
أنشده أبو العباس

أتنكر أن أقوم وقد بدا لي * لأكرمه وأعظمه هشام
فلا تنكر مبادرتي إليه * فإن لمثله خلق القيام
فلما انصرف الرجل سألت عنه فقيل لي هذا البحتري

(مجلس آخر ٥٣)

[تأويل آية أخرى]. إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكيا
عن هابيل (لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف

(١) صدر البيت * فارفع بكفك ان أردت بقاءنا

الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك الآية). فقال كيف يجوز أن يخبر تعالى عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بأنه يريد أن ييؤ أخوه بالإثم وذلك إرادة القبيح وإرادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها كونها إرادة لقبيح وليس قبحها مما يتغير وكيف يصح أن ييؤ القاتل بإثمه وإثم غيره وهل هذا الا ما يأبونه من أخذ البرئ بجرم السقيم. الجواب قلنا جواب أهل الحق عن هذه الآية معروف وهو ان هابيل لم يرد من أخيه قبيحا ولا أراد أن يقتله وإنما أراد ما خبر الله تعالى به عنه من قوله (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) أي تبوء بجزاء ما قدمت عليه من القبيح وعقابه وليس بقبيح أن يريد نزول العقاب المستحق بمستحقه ونظير قوله إثمي مع أن المراد به عقوبة إثمي الذي هو قتلى قول القائل عمن يعاقب على ذنب جناه هذا ما كسبت يداك والمعني هذا جزاء ما كسبته يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لقاك الله عملك وستلقى علمك يوم القيامة معناه ما ذكرناه. فان قيل كيف يجوز أن يحسن رادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه لان القتل على هذا القول لم يكن واقعا. قلنا ذلك جائز بشرط وقوع الأمر الذي يستحق به العقاب فهابيل لما رأى من أخيه التصميم على قتله والإضرار والعزم على إمضاء القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما هم به وعزم عليه. فأما قوله إثمي وإثمك فالمعنى فيه واضح لأنه أراد بإثمي عقاب قتلك لي وبإثمك أي عقاب المعصية التي أقدمت عليها من قبلي فلم يتقبل قربانك لسببها لان الله تعالى أخبر عنهما بأنهما قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وان العلة في أن قربان أحدهما لم يتقبل انه غير متق وليس يمتنع أن يريد بإثمي ما ذكرناه لأن الإثم مصدر والمصادر قد تضاف إلى الفاعل والمفعول جميعا وذلك مستعمل مطرد في القرآن والشعر والكلام فمثال ما أضيف إلى الفاعل. قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) ومن اضافته إلى المفعول. قوله تعالى (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر). وقوله تعالى (لقد ظلمك بسؤال نعجتك

إلى نعاجه). ومما جاء في الشعر من اضافته إلى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر
أمن رسم دار مربع ومصيف * لعينيك من ماء الشؤون وكيف (١)

(١) قوله * أمن رسم دار الخ * هو مطلع قصيدة للحطيئة عدتها ثمانية عشر بيتا مدح بها سعيد بن العاص الأموي لما كان واليا بالكوفة لعثمان بن عفان رضي الله عنه قوله * أمن رسم دار الخ * الهمزة للاستفهام التقريري ومن تعليلية متعلقة بوكيف وهو مصدر وكف وكوفا ووكيفاً سال شيئاً فشيئاً وتأويله أمن رسم داراً مربع أي أر فيها آثاراً والرسم الأثر بلا شخص - والشؤون - مجاري الدمع من الرأس إلى العين واحداً شأن. وقوله - لعينيك - جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم على المبتدأ وهو وكيف يروى بالثنية ويروى بالافراد - ومربع - فاعل المصدر وهو رسم وهو على حذف مضاف والتقدير مطره ونحوه وهو وما بعده اسمان لزمن الربيع والصيف ويأتیان اسمى مكان ومصدرين أيضاً وهذه الصيغة تشترك فيها هذه المعاني وهي صيغة قياسية يذكرها الصرفيون والمذكور في كتب اللغة إنما هو المربع بمعنى منزل القوم في الربيع خاصة وبعد البيت

رشاش كغربي هاجري كلاهما * له داجن بالكسرتين عليف
إذا كر غرباً بعد غرب أعاده * على رغمه وافى السبال عنيف
تذكرت فيها الجهل حتى تبادرت * دموعي وأصحابي على وقوف
يقولون هل يبكي من الشوق مسلم * تخلى إلى وجه الإله حنيف
فلأيا أزاحت علتي ذات ملسم * نكيب تغالي في الزمام خنوف
مقدفة باللحم وجناء عدوها * على الأين إرقال معا ووجيف
إليك سعيد الخير جبت مهامها * يقابلني آل بها وتنوف
ولولا الذي العاصي أبوه تعلق * بحوران مجذام العشى عصوف
ولولا أصيل اللب غرض شبابه * كريم الأيام المنون عروف
إذا هم بالأعداء لم يشن همهم * كعاب عليها لؤلؤ وشنوف
حصان لها في البيت زي وبهجة * ومشى كما تمشي القطاة قطوف
ولو شاء وارى الشمس من دون وجهه * حجاب ومطوي السراة منيف
ولكن إدلاجاً بشهباء فخمة * لها لقح في الأعجمين كشوف
إذا قادها للموت يوماً تتابعت * ألوف على آثارهن ألوف
فصفوا وما ذي الحديد عليهم * وبيض كأولاد النعام كثيف
أنابت إلى جنات عدن نفوسهم * وما بعدها للصالحين حنوف
خفيف المعى لا يملأ الهم صدره * إذا سمته الزاد الخبيث عيوف

في الكلام يقول القائل أعجبني ضرب عمرو خالدا إذا كان عمرو فاعلا وضرب عمرو خالدا إذا كان عمرو مفعولا. وقد ذكر قوم في الآية وجهها آخر وهو أن يكون المراد إني أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك لأنه لم يرد له إلا الخير والرشد فحذف الزوال وأقام أن وما اتصل بها مقامه كما قال تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) أراد حب العجل فحذف الحب وأقام العجل مقامه وكما قال تعالى (واسأل القرية) وهذا قول بعيد لأنه لا دلالة في الكلام على محذوف وإنما تستحسن العرب الحذف في بعض المواضع لاقتضاء

الكلام المحذوف ودلالته عليه. وذكر أيضا وجه آخر وهو أن يكون المعنى إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك أي أريد أن لا تقتلني ولا أقتلك فحذف لا واكتفى بما في الكلام كما قال تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) معناه أن تضلوا وكقوله تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) معناه أن لا تميد بكم وكقول الخنساء فأقسمت آسي على هالك * وأسأل نائحة مالها

أرادت لا آسي ولا أسأل. وقال امرؤ القيس
فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
أراد لا أبرح. وقال عمرو بن كلثوم
نزلتم منزل الأضياف منا * فعجلنا القرى أن تشتمونا
أراد أن لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جدا وهذا الجواب يضعفه كثير من أهل

العربية لأنهم لا يستحسنون اضممار لا في مثل هذا الموضوع. فأما قوله تعالى حاكيا عنه (لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك). فقال قوم من المفسرين ان القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحا في ذلك الوقت وان الله تعالى أمره بالصبر عليه وامتنحه بذلك ليكون هو المتولي للانتصاف. وقال آخرون بل المعنى ان بسطت إلى يدك مبتدئا ظالما لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك على وجه الظلم والابتداء فكأنه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع على سبيل الظلم. والظاهر من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين أشبه لأنه تعالى خبر عنه انه وان بسط أخوه إليه يده ليقته لا يبسط يده ليقته أي وهو يريد لقتله ومجر إليه لأن هذه اللام بمعنى كي وهي منبئة عن الإرادة والغرض ولا شبهة في حظر ذلك وقبحه ولان المدافع إنما تحسن منه المدافعة للظالم أو طلب التخلص منه من غير أن يقصد إلى قتله والاضرار به ومتي قصد ذلك كان في حكم المبتدئ بالقتل في أنه فاعل القبيح والعقل شاهد بوجوب التخلص من المضرة بأي وجه تمكن منه بعد أن يكن غير قبيح. فإن قيل فكأنكم تمنعون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة ووجوبهما على كل حال. قلنا لا يمتنع من ذلك وإنما بينا ان الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصاف على ما ذهب إليه قوم لان قوله لأقتلك يقتضي أن يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة لا يقتضي ذلك ولا يحسن من المدافع أن يجري بها إلى ضرب فلا دلالة في الآية على تحريم المدافعة ووجب أن يكون ما ذكرناه أولى بشهادة الظاهر [تأويل خبر]. إن سأل عن معنى الخبر الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه قال لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتسمه النار الا تحلة القسم . الجواب قلنا أما أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه قال يعني بتحلة القسم قوله تعالى (وان منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) فكأنه عليه الصلاة والسلام قال لا يرد النار إلا بقدر ما يبر الله قسمه. وأما ابن قتيبة فإنه قال في تأويل أبي عبيد هذا مذهب حسن من الاستخراج إن كان هذا قسما. قال وفيه مذهب آخر أشبه بكلام العرب ومعانيهم وهو ان العرب إذا أرادوا تقليل مكث الشيء وتقصير مدته شبهوه بتحلة

القسم وذلك أن يقول الرجل بعد حلفه إن شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عندنا الا تحلة القسم وما ينال العليل إلا كتحليل الألية وهو كثير مشهور. قال مزاحم بن أحمر وذكر الريح إذا عصفت رسماً فليس بدائم * به وتد إلا تحلة مقسم يقول لا يثبت الوتد الا قليل كتحلة القسم لان هبوب الريح يقلعه. وقال آخر يذكر ثورا يخفي التراب بأظلاف ثمانية * في أربع مسهن الأرض تحليل (١) يقول هو سريع خفيف فقوائمه لا تثبت في الأرض إلا كتحليل اليمين. وقال ذو الرمة كأنه يصف صاحب سفر أغفى غفاة ثم انتبه سريعاً

(١) - يخفي التراب - يستخرجها لشدة عدوه ويقال خفيت الشئ إذا استخرجته وقرأ بعضهم (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) أي أظهرها ومن قرأ أخفيها أراد أسرها ومنه الحديث ليس علي مختف قطع ومنه قول امرئ القيس خفاهن من أنفاقهن كأنما * خفاهن ودق من عشي محلب ويروي محلب أي يجلب الماء ومجلبة من الجلبة جلبة الريح والرعْد. وقوله - باظلاف ثمانية في أربع - يريد ثمانية أظلاف في أربع قوائم في كل قائمة ظلفان. وقوله - مسهن الأرض تحليل - أي كتحلة اليمين وأهل الحجاز يسمون النباش المختفى وقال مسهن الأرض تحليل قدر تحلة اليمين كأنه أقسم ليمسن الأرض كما قال الراعي حدث السراب وألحقت أعجازها * روح يكون وقوعها تحليلاً والبيت من قصيدة لعبدة بن الطبيب وهي مفضلية ومطلعها هل حبل خولة بعد الهجر موصول * أم أنت عنها بعيد الدار مشغول حلت خويلة في دار مجاورة * أهل المدائن فيها الديك والفيل يقارعون رؤوس العجم ضاحية * منهم فوارس لا عزل ولا ميل فخامر القلب من ترجيع ذكرتها * رس لطيف ورهن منك مكبول

طوى طيه فوق الكرا جفن عينه * على رهبات من جنان المخادر
 قليلا كتحليل الألى ثم قلصت * به شيمة روعاء تقليص طائر
 - والألى - جمع ألوة وهي اليمين قال ومعنى الخبر على هذا التأويل ان النار لا تمسه إلا
 قليلا كتحليل اليمين ثم ينجيه الله منها. وقال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري
 الصواب قول أبي عبيد لحجج ثلاث. ومنها ان جماعة من كبار أهل العلم فسروه على
 تفسير أبي عبيد. ومنها انه ادعى ان النار تمس الذي وقعت منزلته عند الله جليلة
 لكن مسا قليلا والقليل من النار لا يقع به الألم العظيم وليس صفة الأبرار في الآخرة
 صفة من تمسه النار لا قليلا ولا كثيرا.
 ومنها ان أبا عبيد لم يحكم على هذا المصاب
 بولده بمس وإنما حكم عليه بالورود والورود لا يوجب أن يكون من الأبرار لان
 إلا معناه الاستثناء المنقطع فكأنه قال فتمسه النار لا كن تحلة اليمين أي لا كن
 ورود النار لا بد منه فجرى مجرى قول العرب سار الناس الا الأثقالا وارتحل العسكر
 إلا الخياما وأنشد الفراء
 وسمحة المشي شمالا قطعت بها * أرضا يحار الهادون ديموما (١)
 مهامها وحزونا لا أنيس بها * إلا الصوائح والأصداء والبوما (٢)
 وأنشد الفراء

- (١) - الديموم - والديمومة الفلاة الواسعة يدوم السير فيها لبعدها وقيل هي المفازة
 لا ماء بها وأنشد ابن برى لذي الرمة * إذا انتخ الدياميم * وقيل الديمومة الأرض
 المستوية التي لا أعلام بها ولا طريق ولا ماء ولا أنيس. وقال أبو عمرو الدياميم الصحارى
 الملس المتباعدة الأطراف
 (٢) - الصوائح - جمع صائح وهو ما يصيح أي يصوت والمراد به الأصوات التي تسمع
 في الخلاء ولا حقيقة لها - والأصداء - جمع صدى وهو ما يردده الجبل على المصوت
 فيه - والبوم - طائر معروف

ليس عليك عطش ولا جوع * إلا الرقاد والرقاد ممنوع
فمعنى الحديث لا يموت لمسلم ثلاثة من الأولاد فتمسه النار البتة لا كن تحلة اليمين لا بد
منها وتحلة اليمين الورود والورود لا يقع فيه مس.

قال أبو بكر وقد سنح لي فيه
قول آخر وهو أن تكون إلا زائدة دخلت للتوكيد وتحلة اليمين منصوب على الوقت
والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم وإلا زائدة. قال الفرزدق
شاهدا لهذا

هم القوم إلا حيث سلوا سيوفهم * وضحوا بلحم من محل ومحرم
معناه هم القوم حيث سلوا سيوفهم وإلا مؤكدة. وقال الأخطل
ويقطعن إلا من فروع يردنها * بمدحة محمود نشاء ونائله (١)
معناه يقطعون الإبل من فروع يردنها والفروع الواسعة من الأرض. [قال الشريف

(١) وفي ديوانه
إليكم من الأغوار حتى يزرنكم * بمدحة محمود نشاء ونائله
- الأغوار - جمع غور بالفتح وهو القعر من كل شئ وهي هنا الأمكنة المطمئنة
- والنش - بالفتح والقصر الخبر. والبيت من قصيدة يمدح بها بشر بن مروان ومطلعها
صحا القلب عن أروى وأقصر باطله * وعاد له من حب أروى أخابله
أجدك ما نلقاك إلا مريضة * تداوين قلبا ما تنام بلابله
عفا واسط منها فالجام حامر * فروض القطا صحراؤه وحمائله
. ومنها

ومستقبل لفتح الحرور بحاجة * إليكم أبا مروان شدد رواحله
إليكم من الأغوار حتى يزرنكم * بمدحة محمود نشاء ونائله
جزاء وشكرا لا مرئى لا تغبنى * إذا جئته نهماؤه وفواضله
أخو الحرب ما ينفك يدعي لعصبة * حرورية أو أعجمي يقاتله

المرتضى] رضي الله عنه والوجوه المذكورة في تأويل الخبر متقاربة لان الوجه الذي اختص به ابن الأنباري فيه أدنى تعسف وبعد من حيث جعل إلا زائدة وذلك كالمستضعف عند جماعة من أهل العلم بالعربية وقد تبقى في الخبر مسألة التشاغل بالجواب عنها أولى مما

تكلفه القوم وهي متوجهة على كل الوجوه التي ذكروها في تأويله. وهو أن يقال كيف يجوز أن يخبر عليه الصلاة والسلام بأن من مات له ثلاثة أولاد لا تسمه النار إما جملة أو مقدار تحلة القسم وهو النهاية في القلة أوليس ذلك يوجب أن يكون إغراء بالذنوب لمن هذه حاله وإذا كان من يموت له بهذا العدد من الأولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح أن يؤمن من العقاب. والجواب عن ذلك إذا قد علمت أولا خروج هذا الخبر مخرج المدحة لمن كانت هذه صفته للتمييز ولا مدحة في مجرد موت الأولاد لان ذلك لا يرجع إلى فعله ولا بد من أن يكون تقدير الكلام ان النار لا تمس المسلم الذي يموت له ثلاثة من الأولاد إذا حسن صبره واحتسابه وعزاؤه ورضاه بما جرى به القضاء عليه لأنه بذلك يستحق الثواب والمدح وإذا كان اضممار الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن في القول اغراء لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذي إذا وقع عليه تفضل الله تعالى بغفران ما لعله أن يستحقه من العقاب في المستقبل غير معلوم وإذا لم يكن معلوما متميزا فلا وجه للاغراء وأكثر ما في هذا الكلام أن يكون القول مرغبا في حسن الصبر وحثا عليه رغبة في الثواب ورجاء لغفران ما لعله أن يستحق في المستقبل من العقاب وهذا واضح لمن تأمله

(مجلس آخر ٥٤)

[تأويل آية]. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة). فقال: ما معني أو ههنا وظاهرها يفيد الشك الذي لا يجوز عليه تعالى. الجواب قلنا في هذه الآية وجوه. أولها أن تكون أو ههنا للإباحة كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين والفقهاء أو المحدثين ولم يريدوا الشك بل

كانهم قالوا هذان الرجلان أهل للمجالسة وهذا القبيان من العلماء أهل للقاء فان جالست الحسن فأنت مصيب وان جالست ابن سيرين فأنت مصيب وان جمعت بينهما فكذلك فيكون معنى الآية على هذا ان قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الرشيد والخير فان شبهتهم قسوتها بالحجارة أصبتهم وان شبهتموها بما هو أشد أصبتهم وان شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا يتأول قوله تعالى (أو كصيب من السماء) لان أو لم يرد بها الشك بل على نحو الذي ذكرناه من انكم إن شبهتموهم بالذي استوقد ناراً فجائز وان شبهتموهم بأصحاب فجائز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك. وثانيها أن تكون أو دخلت للتفصيل والتمييز ويكون معنى الآية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالحجارة في القسوة وبعضها ما هو أشد قسوة منها ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا) ومعناه وقال بعضهم كونوا هوداً وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصارى فدخلت أو للتفصيل وكذلك قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون) معناه فجاء بعض أهلها بأسنا بياتاً وجاء بعض أهلها بأسنا في وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى (أو كصيب من السماء) هذا الوجه أيضاً ويكون المعنى ان بعضهم يشبه الذي استوقد ناراً وبعضهم يشبه أصحاب الصيب. وثالثها أن يكون أو دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع إلى المخاطب وإن كان الله تعالى عالماً بذلك

غير شاك فيه لأنه تعالى لم يقصد في إخبارهم عن ذلك إلا التفصيل بل علم عز وجل ان خطابهم بالاجمال أبلغ في مصلحتهم فأخبر تعالى ان قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم كالحجارة أو أشد قسوة والمعنى انها كانت كأحد هذين لا يخرج عنهما ويجري ذلك مجرى قولهم ما أطعمتك إلا حلوا حامضاً فيبهمون على المخاطب ما يعلمون انه لا فائدة في تفصيله والمعنى ما أطعمتك إلا أحد هذين الضريين وكذلك يقول أحدهم أكلت بكرة أو ثمرة وهو قد علم ما أكل على التفصيل إلا أنه أبهمه على المخاطب . قال لبيد .

تمنى ابتائي أن يعيش أبوهما * وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر (١)
أراد هل أنا إلا من أحد هذين الحيين فسبيلي ان أفنى كما فينا وإنما حسن ذلك لان
قصده الذي أجرى إليه وغرضه الذي نحاه وهو أن يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولا
يخل به اجمال ما أجمل من كلامه فاضرب عن التفصيل لأنه لا فائدة فيه ولأنه سواء كان
من ربيعة أو مضر فموته واجب وكذلك الآية لان الغرض فيها أن يخبر تعالى عن شدة
قسوة قلوبهم وانها مما لا تتشني لوعظ ولا تصغي إلى حق فسواء كانت في القسوة
كالحجارة

أو أشد منها فقد تم ما أجرى إليه من الغرض في وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها
بالحجارة وبما هو أشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة أو مضر في أنه غير محتاج
إليه ولا يقتضيه الغرض في الكلام. ورابعها أن تكون أو بمعنى بل كقوله تعالى
(وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) معناه بل يزيدون وروى عن ابن عباس في
قوله تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) قال كانوا مائة ألف وبضعا وأربعين

(١) وبعده

فقوما وقولا بالذي تعلمانه * ولا تخمشا وجهها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا صديقه * أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
والبيت الأخير يورده بعض النحاة على أن لفظ اسم مقحم. قال ابن جني هذا قول
أبي عبيدة وكذلك قال في بسم الله ونحن نحمل الكلام على أن فيه محذوفا قال أبو علي
وإنما هو حد حذف المضاف أي ثم اسم معنى السلام عليكما واسم معنى السلام هو
السلام وكأنه قال ثم السلام عليكما فالمعنى لعمرى ما قاله أبو عبيدة لكنه من غير الطريق
التي أتاه هو منها ألا تراه هو اعتقد زيادة شيء واعتقدنا نحن نقصان شيء اه. روى أن
لبيد رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنتيه هذه الأبيات فكانتا بعد وفاته تلبسان
ثيابهما في كل يوم وتأتیان مجلس جعفر بن كلاب قبيلته فترثيانه ولا تعولان فأقامتا على
ذلك حولا كاملا ثم انصرفتا

ألفا. وأنشد الفراء

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى * وصورتها أو أنت في العين أملح
وقد تكون أم في الاستفهام أيضا بمعنى بل كقول القائل أضربت عبد الله أم أنت رجل
متعنت معناه بل أنت رجل متعنت.

وقال الشاعر

فوالله ما أدرى أسلمى تغولت * أم النوم أم كل إلي حبيب
معناه بل كل. وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال وكيف يجوز أن يخاطبنا تعالى
بلفظة بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وليس ذلك
بشيء أما الاستدراك فإن أريد به الاستفادة أو التذكر لما لم يكن معلوما فليس بصحيح
لان أحدنا يقول أعطيته ألفا بل ألفين وقصدته دفعة بل دفعتين وهو عالم في ابتداء
كلامه بما أخبر به في الثاني ولم يتجدد به علم وان أراد به الأخذ في كلام غير الماضي
واستئناف زيادة عليه فهو صحيح ومثله جائز عليه تعالى فأما النقض للكلام الماضي
فليس بواجب في كل موضع تستعمل فيه لفظة بل لان القائل إذا قال أعطيته ألفا بل
ألفين لم ينقض الأول وكيف ينقضه والأول داخل في الثاني وإنما زاد عليه وإنما يكون
ناقضا للماضي إذا قال لقيت رجلا بل حمارا وأعطيته درهما بل ثوبا لان الأول لم يدخل
في الثاني على وجه وقوله تعالى (أو أشد قسوة) غير ناقض للأول لأنها لا تزيد في
القسوة على الحجارة إلا بعد أن تساويها وإنما تزيد عليها بعد المساواة. وخامسها أن
تكون أو بمعنى الواو كقوله (أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم) معناه وبيوت
آبائكم. قال جرير
نال الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسي على قدر (١)

(١) قوله نال الخلافة الخ. هو من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله
تعالى. ويروى جاء الخلافة وأتى الخلافة وفي ديوانه نال الخلافة. والبيت من شواهد
النحاة في باب الفاعل على توسط المفعول بين الفعل والفاعل جوازا ومطلع القصيدة
لجت امامة في لومي وما علمت * عرض السماوة روحاتي ولا بكري
وقال العيني وأولها قوله

كم باليمامة من شعناء أرملة * ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
وهذا غلط لان البيت قبله اثنا عشر بيتا ومنها
إننا لنرجوا إذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة ما نرجو من المطر
. ومنها
أصبحت للمنبر المعمور مجلسه * زينا وزين قباب الملك والحجر

وقال توبة بن الحمير
وقد زعمت ليلي بأني فاجر * لنفسي تقاها أو عليها فجورها (١)

(١) هو من قطعة أولها
حمامة بطن الواديين ترنمي * سقاك من الغر الغوادي مطيرها
أبيني لنا لا زال و يشك ناعما * ولا زلت في خضراء غض نصيرها
و كنت إذا ما زرت ليلي تبرقعت * وقد رايني منها الغداة سفورها
وقد رايني منها صدود رأيت * واعراضها عن حاجتي وبسورها
وأشرف بالقور اليفاع لعلني * أرى نار ليلي أو يراني بصيرها
يقول رجال لا يضيرك نأيتها * بلي كل ما شف النفوس يضيرها
بلي قد يضير العين أن تكثر البكى * ويمنع منها نومها وسورها
وقد زعمت ليلي بأني فاجر * لنفسي تقاها أو عليها فجورها
يروى ان ليلي الأخيلية لما أنشدت الحجاج هذه الأبيات قال لها ما الذي رابه من
سفورك فقالت أيها الأمير كان يلم بي كثيرا فأرسل إلي يوما إني آتيك وفطن الحي
فأرصدوا له فلما أتاني سفرت عن وجهي فعلم أن ذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع
فقال لله درك فهل رأيت منه شيئا تكرهينه فقالت لا والذي أسأله أن يصلحك غير أنه قال
مرة قولاً ظننت انه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول
وذى حاجة قلنا له لا تبج بها * فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه * وأنت لاخرى فارغ و خليل
فلا والله الذي أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئا حتى فرق الموت بيني وبينه

(١٤٦)

وقال جرير أيضا
أثعلبة الفوارس أم رياحا * عدلت بهم طهية والخشابا (١)
أراد أو رياحا. وقال آخر
فلو كان البكاء يرد ميتا * بكيت على بحير أو عفاق
على المرأين إذ هلكا جميعا * لشأنهما بشجو واشتياق
أراد على بحير وعفاق. وحكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطعن عليه
بان قال ليس شئ يعلم أشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيشبه قلوبهم الزيادة عليها
وإنما يصح ذلك في قولهم أطعمتك تمرا أو أحلا منه لان أحلا منه معلوم واختار

(١) قوله - أثعلبة - أراد بها القبيلة وهي ثعلبة بن سعيد بن ذبيان بن بغيض بن ريث
ابن غطفان. وفي أسد بن خزيمة ثعلبة أيضا وهي ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة
. وقوله - أم رياحا - بكسر الراء وبالياء آخر الحروف وهي أيضا قبيلة وهي رياح بن
يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وفي قضاة أيضا رياح بطن وهو
ابن عوف ابن عميرة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن حزم بن أبان بن حلوان بن
عمرو بن الحاف بن قضاة. وفي سليم أيضا وهي رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف
ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم. وقوله - طهية - بضم الطاء وفتح الهاء وتشديد
الياء آخر الحروف وفي آخره هاء وهي حي من بني تميم يقال لهم بنو طهية بنت عبد
شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم. وقوله - والخشابا - بكسر الخاء المعجمة وبالشين
المعجمة وبعد الألف باء موحدة وهي أيضا قبيلة. وقال الجوهري وبنو رزام بن
مالك بن حنظلة يقال لهم الخشاب ثم أنشد البيت المذكور

المفضل الوجه الذي يتضمن أن أو بمعنى بل وهذا الذي طعن به المفضل ليس بشئ لأنهم وإن لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشد قسوة من الحجارة فسورة قسوة الحجارة معلومة لهم ويصح أن يتصوروا ما هو أشد قسوة منها وماله عليها فضل لأن قدرا ما إذا عرف جاز أن يعرف ما هو أزيد منه أو أنقص لأن الزيادة والنقصان إنما يضافان إلى معلوم معروف على أن الآية خرجت مخرج المثل وأراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة في القسوة على الحجارة انها قد انتهت إلى حد لا تلين معه للخير على وجه من الوجوه وإن كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها تمثيلا وتشبيها وقول المفضل ليس يعرفون ما هو أقسى من الحجارة لا معنى له إذا كان القول على طريق المثل. وبعد فإن الذي طعن به على هذا الجواب يعرض على الوجه الذي اختاره لأنه إذا اختار أن أو في الآية بمعنى بل فكيف جاز بأن يخبرهم بأن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو أقسى من الحجارة وإذا جاز أن يقول لهم بل قلوبهم أقسى مما يعرفون من الحجارة جاز أن يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة التي يعرفون في القوة وهي مع ذلك تزيد عليها. فإن قيل كيف يكون أو في الآية بمعنى الواو والواو للجمع وليس يجوز أن تكون قلوبهم كالحجارة أو أشد

من الحجارة في حالة واحدة لأن الشئ إذا كان على صفة لم يجز أن يكون على خلافها . قلنا قد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بأن قال ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجارة في حال وأشد من الحجارة في حال أخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب ويكون فائدة هذا الجواب أن قلوب هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن تصور الحق والفكرة فيه ربما لانت بعض اللين وفي حال أخرى تكون في نهاية البعد عن الحق وكادت تصغي إلى الحق فتكون في هذا الحال كالحجارة التي ربما لانت وفي حال أخرى ربما تكون في نهاية البعد عن الحق والنفور عنه فتكون في هذا الحال أشد قسوة من الحجارة على أنه يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر وقد تقدم معناه في بعض كلامنا وهو أن قلوبهم لا تكون أشد من الحجارة إلا بعد أن يكون فيها قسوة الحجارة لأن القائل إذا قال فلان أعلم من فلان فقد أخبر أنه زائد عليه في العلم

الذي اشترك فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس ههنا تناف على ما ظن المعترض ولا اثبات لصفة ونفيها فكل هذا بين بحمد الله تعالى. [قال المرتضى] رضي الله عنه وإني لأستحسن من الشعر قول الأحوص بن محمد الأنصاري ومولى سخييف الرأي رخو تزیده * أناتي وعفوي جهله عنده ذما (١) وصلت ولو غيرته لأصبتة * بشنعاء باق عارها يفرأ العظما طوى حسدا ضغنا على كأنما * أداوي به في كل مجمعة كلما ويجهل أحيانا فلا يستخفني * ولا أجهل العتبي إذا راجع الحلما يصد وينأى في الرخاء بوده * ويدعو ويدعوني إذا خشي الهضما فيفرج عنه أربة الخصم مشهدي * وأدفع عنه عند عثرته الظلما - الإربة - الدهاء والإربة العقدة وكلا المعنيين يحتمل لفظ البيت وكنت امرأ عود الفعّال تهزني * مآثر مجد تالد لم يكن زعما وكنت وشتمي في أرومة مالك * بسبي له كالكلب إذ ينبح النجما ولست بلاق سيدا ساد مالكا * فتنسبه إلا أبا لي أو عما ستعلم إن عاديتني فقّع قرقر * امالا أفدت لا أبا لك أو عدما (٢)

(١) - المولي - القريب كابن العم ونحوه والواو فيه واو رب أي رب مولى سخييف الرأي أي ضعيفه - والأناة - الحلم والوقار. المعنى أن اناتي وعفوي يزيد انه من ذمي عنده

(٢) - الفقّع - البضاء من الكمأة وهي منصوبة على الذم - والقرقر - الأرض المظمئة . وهذا مأخوذ من قولهم أذل من فقّع بقرقر لأنه لا يمتنع على من اجتناه ويقال بل لأنه يوطأ بالأرجل والجمع فقعة مثل جبء وجبأة ويقال حمام فقّع إذا كان - أبيض ويشبه الرجل الذليل بالفقّع فيقال هو فقّع قرقر لان الدواب تنجّله بأرجلها. قال النابغة يهجو النعمان بن المنذر

حدثوني بنى الشقيقة ما يمنع فقعا بقرقر أن يزولا
لأن الفقعة لا أصول لها ولا أغصان ويقال فلان فقعة لقاع كما يقال في مولد الأمثال لمن كان كذلك هو كشوت الشجر لان الكشوت نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر
هو الكشوت فلا أصل ولا ورق * ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

لقد أبقت الأيام منها وجرسها * لأعدائنا ثكلا وحسادنا رغما
وكانت عروق السوء أودت وقصرت * به أن ينال الحمد فالتمس الذما
ومن مختار شعره

إني إذا خفي رجال رأيتني * كالشمس لا تخفى بكل مكان
ما من مصيبة نكبة أمني بها * إلا تشرفني وتعظم شاني
وتزول حين تزول عن متخبط * تخشى بواده على الأقران
ومن جيد شعره

خليلان باحا بالهوى فتشاحنت * أقاربها في وصلها وأقاربه
ألا إن أهوى الناس قربا ورؤية * وريحا إذا ما الليل غارت كواكبه
ضجيع دنا منى جذلت بقربه * فبات يميني وبت أعاتبه
وأخبره بالسر بيني وبينه * بأن ليس شئ عند نفسي يقاربه
وقد غبر في وجه كل من وصف المضاجعة امرؤ القيس حيث يقول

تقول وقد جردتها من ثيابها * كما رعت مكحولا من العين أتلعا
وجدك لو شئ أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا
فبتنا نذود الوحش عنا كأننا * قتيلا لم تعلم لنا الناس مصرعا
إذا أخذتها هزة الروح أمسكت * بمنكب مقدم على الهول أروعا
وقال علي بن الجهم في وصفه شدة الالتزام
سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الراح فيما بيننا لم تسرب
ولعبد الصمد بن المعدل في هذا المعني
كأنني عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجا * حسبتنا في جسد واحد
ولبشار
إنني أشتهي لقاءك والله * فماذا عليك أن تلقاني
قد تلف الرياح غصنا من * البان إلى مثله فيلتقيان
ومثله للبحثري
ولم أنس ليلتنا في العناق لف * الصبا بقضيب قضيبا
كما أقبلت الريح في مرها * فطورا خفوتا وطورا هبوبا
ولآخر في مثل هذا بعينه ولسنا ندري هل سبق البحثري أو تأخر عنه
وضم لا ينهنه اعتناق * كما لف القضيب على القضيب
ولعلي بن الجهم
وبتنا على رغم الحسود كأننا * خليطان من ماء الغمامة والحر

وهذا وان جعله في العناق فهو مأخوذ من قول بشار
وإن نلتقي خلف العيون كأننا * سلاف عقار مشوب
والأصل في هذا قول الأخطل والناس من بعده على أثره
من الجاريات الحور مطلب سرها * كبيض الأنوق المستكنة في الوكر
وإني وإياها إذا ما لقيتها * لكالماء من صوب الغمامة والخمر
وقد أخذه أيضا ابن أبي عيينة فقال
ما أنس لا أنس يمناها معطفة * على فؤادي ويسراها على رأسي
وقولها ليته ثوب على جسدي * أوليتني كنت سربا لا لعباس
أوليته كان لي خمرًا وكنت له * من ماء مزن فكنا الدهر في كأس
ومثل هذا للبحثري
وجدت نفسك من نفسي بمنزلة * هي المصافاة بين الماء والراح
ولقد أحسن بشار في قوله
لقد كان ما بيني زمانا وبينها * كما كان بين المسك والعنبر الورد
أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيناء قال
حدثني القتيبي عن أبيه قال سير الوليد بن عبد الملك (١) الأحوص إلى دهلك فكتب

(١) قوله سير الوليد بن عبد الملك الأحوص الخ. المشهور ان الذي نفاه سليمان
ابن عبد الملك وسبب ذلك ان الأحوص كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل
المدينة ويتغنى في شعره معبد ومالك ويشيع ذلك في الناس فنهى فلم ينته فشكى إلى عامل
سليمان بن عبد الملك على المدينة وسأله الكتاب فيه إليه ففعل ذلك فكتب سليمان إلي
عامله يأمره أن يضربه مائة سوط وبقيمه على البلس للناس ثم يصيره إلى دهلك ففعل
ذلك به فتوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك ثم ولي عمر بن عبد العزيز فكتب
إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه فأبى أن يأذن له وكتب فيما كتب إليه به
أيا راكبا إما عرضت فبلغن * هديت أمير المؤمنين رسائلي
وقل لأبي حفص إذا ما لقيته * لقد كنت نفاعا قليل الغوائل
وكيف ترى للعيش طيبا ولذة * وخالك أمسى موثقا في الجبائل
ثم إن رجالا من الأنصار كلموا فيه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال لهم فمن
الذي يقول

فما هو ألا أن رآها فجاءة * فأبتهت حتى ما أكاد يجيب
قالوا الأحوص والصحيح ان هذا البيت لعروة بن حزام. قال فمن الذي يقول
أدور ولولا أن أرى أم جعفر * بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى * إذا لم يزر لا بد أن سيزور
قالوا الأحوص. قال فمن الذي يقول
كأن لبني صبير غادية * أو دمية زينت بها البيع
الله بيني وبين قيمها * يفر مني بها وأتبع
قال بل الله بين قيمها وبينه. فمن الذي يقول
ستبقى لها في مضمهر القلب والحشى * سريرة حب يوم تبلي السرائر
قالوا الأحوص قال إن الفاسق عنها يومئذ لمشغول والله لا أرده ما كان لي سلطان

الأحوص إلي عمر بن عبد العزيز حين استخلف
وكيف ترى للنوم طعما ولذة * وخالك أمسى موثقا في الحبال
فمن يك أمسى سائلا عن شماتة * ليشتت بي أو شامتا غير سائل
فقد عجمت مني الحوادث ماجدا * صبورا على غماء تلك البلال
إذا سر لم يفرح وليس لكنية * ألمت به بالخاشع المتضائل
فبعث عمر بن عبد العزيز إلى عراك بن مالك الذي كان شهد عليه فقال ما ترى في هذا

(١٥٣)

البائس فقال عراك مكانه خير له فتركه في موضعه فلما ولي يزيد بن عبد الملك جلب الأحوص وسير عراقا. [قال المرتضى] رضي الله عنه وإنما كان الأحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة ان أم عمر هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وأمها أنصارية. فأما قوله - إذا سر لم يفرح - فمأخوذ من قول لقيط من زرارة لا مترفا إن رخاء العيش ساعده * وليس إن عض مكروه به خشعا (١) . وللأحوص

وبطن مكة لا أبوح به * قرشية غلبت على قلبي
لو أنها إذ مر مركبها * يوم الكديد أطاعني صجلي
قلنا لها حيت من شجن * ولركبها حيت من ركب

(١) البيت من قصيدته المشهورة التي أنذر بها قومه غزو كسرى إياهم وكان لقيط كاتباً في ديوان كسرى فلما رآه مجمعا على غزو إياه كتب إليهم بهذا الشعر فوقع الكتاب في يد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إيادا ومطلعها
يا دار عمرة من محتلتها الجرعا * هاجت لي الهم والأحزان والوجعا
تامت فؤادي بذات الجزع خرعبة * مرت تريد بذات العذبة البيعا
بمقلتي خاذل أدماء طاع لها * نبت الرياض تزجي وسطه ذرعا
. ومنها

وقلدوا أمركم لله دركم * ربح الذراع بأمر الحرب مطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا إذا عض مكروه به خشعا
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه * هم يكاد سناه يقصم الضلعا
مسهد النوم تعنيه أموركم * يروم منها إلى الأعداء مطلعا
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته * مستحکم الرأي لاقحما ولا ضرعا

والشوق أقتله برؤيتها * قتل الظما بالبارد العذب
والناس إن حلوا جميعهم * شعبا سلام وكنت في شعب
لحللت شعبك دون شعبهم * ولكان قربك منهم حسبي
قوله - والشوق أقتله - نظير قول جرير
فلما التقى الحيان ألقى العصا * ومات الهوى لما أصيب مقاتله
(مجلس آخر ٥٥)
[تأويل آية].

إن سأل سائل عن قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين). فقال كيف يأمرهم تعالى بان يخبروا بما لا يعلمون وليس أقبح من تكليف ما لا يطاق الذي تأبونه والذي لا يجوز أن يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوزه. الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان. أولهما ان ظاهر هذه الآية إن كان أمرا يقتضى التعلق بشرط وهو كونهم صادقين عالمين بأنهم إذا أخبروا عن ذلك صدقوا فكأنه قال تعالى خبروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا إلى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا بمنزلة أن يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا ان كنت تعلمه وان كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه. فان قيل أوليس قد قال المفسرون في قوله تعالى (ان كنتم صادقين) ان المراد به ان كنتم تعلمون بالعلة التي من أجلها جعلت في الأرض خليفة أو ان كنتم صادقين في اعتقادكم انكم تقومون بما أنصب الخليفة له وتضطلعون به وتصلحون به . قلنا قد قيل كل ذلك وقيل أيضا ما ذكرناه وإذا كان القول محتملا للأمرين جاز أن يبنى الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لا يتم لمن يذهب إلى أن الله تعالى لا يصح أن يأمر العبد بشرط قد علم أنه لا يحصل ولا يحسن أن يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب إلى جواز ذلك صح منه أن يعتمد على هذا الجواب. فإن

قيل فأني فائدة في أن يأمرهم بأن يخبروا عن ذلك بشرط أن يكونوا صادقين وهو عالم
 بأنهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به. قلنا لمن ذهب إلى الأصل الذي ذكرناه أن
 يقول لا يمتنع أن يكون الغرض في ذلك هو أن يكشف باقرارهم وامتناعهم من الإخبار
 بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استثناؤه بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح
 في الدين. فان قيل فهذا يرجع إلى الجواب الذي تذكرونه من بعد. قلنا هو وان
 رجع إلى هذا المعنى فبينهما فرق من حيث كان هذا الجواب على تسليم ان الآية
 تضمنت الأمر والتكليف الحقيقيين والجواب الثاني لا نسلم فيه ان القول أمر على
 الحقيقة فمن ههنا افترقا. والوجه الثاني أن يكون الأمر وإن كان ظاهره أمر بغير
 أمر على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الأمر
 ما ليس بأمر والقرآن والشعر وكلام العرب مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب ان الله
 تعالى قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها
 ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال إني أعلم ما لا تعلمون) أي
 إني مطلع من مصالحكم وما هو أنفع لكم في دينكم على ما لا تطلعون عليه ثم أراد
 التنبيه على أنه لا يمتنع أن يكون غير الملائكة مع أنها تسبح وتقدس ولا تعصى
 أولى بالاستخلاف في الأرض وإن كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم تعالى آدم
 عليه الصلاة والسلام أسماء جميع الأجناس أو أكثرها وقيل أسماء النبي محمد صلى الله
 عليه وآله والأئمة من ولده وسلم وفيه أحاديث مروية ثم قال تعالى للملائكة أنبؤوني بأسماء
 هؤلاء مقررا لهم ومنبها على ما ذكرناه ودالا على اختصاص آدم عليه الصلاة والسلام
 بما لم يخصصوا به فلما أجابوه بالاعتراف والتسليم إليه علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال
 تعالى
 (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)
 منبها على أنه تعالى هو المتفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب على كل مكلف أن
 يسلم
 لأمره تعالى ويعلم انه لا يختار لعباده إلا ما هو أصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك أم
 جهلوه
 وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى (ان كنتم صادقين) محمولا على كونهم
 صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو في ظنهم انهم يقومون بما يقوم به
 هذا

الخليفة ويكملون له ولولا أن الأمر على ما ذكرناه وإن القول لا يقتضى التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) معنى لأن التكليف الأول يا يتغير حاله بأن يخبرهم آدم عليه الصلاة والسلام بالأسماء ولا يكون قوله تعالى (إني أعلم غيب السماوات) إلى آخر الآية إلا مطابقا لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكأنه تعالى قال إذا كنتم تعلمون هذه الأسماء فأنتم عن علم الغيب أعجز وبأن تسلموا الأمر لمن يعلمه ويدبر أمركم بحسبه أولى. فإن قيل كيف علمت الملائكة بأن في ذرية آدم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك وإن كانت غير عالمة فكيف يجوز أن تخبر عنه بغير علم. قلنا قد قيل إنها لم تخبر وإنما استفهمت فكأنها قالت متعرفة أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل أيضا إن الله تعالى أخبرها بأنه سيكون من ذرية هذا المستخلف من يعصى ويفسد في الأرض فقالت على وجه التعرف لما في هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الأخير يقتضى أن يكون في أول الكلام حذف ويكون التقدير (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) وإني عالم أن سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتمى عن إيراد هذا المحذوف بقوله تعالى (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) لأن ذلك دلالة على الأول وإنما حذفه اختصارا وفي جملة جميع الكلام اختصار شديد لأنه تعالى لما حكى عنهم قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها) الآية كان في ضمن هذا الكلام فنحن على ما نظنه ويظهر لنا من الأمر أولى بذلك لأننا نطيع وغيرنا يعصى وقوله تعالى (إني أعلم ما لا تعلمون) يتضمن إني أعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفا تظنونه على ظواهر الأمور وفي القرآن من الحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد في شئ من الكلام فمن ذلك قوله تعالى في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام والناجي من صاحبيه في السجن رؤيا الملك البقر السمان والعجاف أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا ولو بسط الكلام فأورد محذوفة لقال أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ففعلوا فأتى يوسف فقال له

يا يوسف أيها الصديق ومثله قوله في الأنعام (قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين) أي وقيل لي وتكونن من المشركين وكذلك قوله تعالى في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر) إلى قوله تعالى (اعملوا آل داود شكرا) أي وقيل لهم (اعملوا آل داود شكرا) . وقال جرير

وردتم على قيس بخور مجاشع * فنؤتم على ساق بطئ جبورها
أراد فنؤتم على ساق مكسورة بطئ جبورها كأنه لما كان في قوله بطئ جبورها دليل
على الكسر اقتصر عليه. وقال عنتره
هل تبلغني دارها شذنية * لعنت بمحروم الشراب مصرم
يعنى ناقته. ومعنى - لغت - دعاء عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك
والناقة إذا كانت لا تنتج كان أقوى لها على السير. قال تأبط شرا ويروي للشنفرى
فلا تدفنوني إن دفني محرم * عليكم ولكن خامري أم عامري (١)

(١) - خامري أم عامر - مثل وأم عامر وأم عمرو وأم عويمر الضبع يشبه بها
الأحمق ويروي عن علي رضي الله عنه أنه قال لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم فتبرز
طمعا في الحية حتى تصاد وهي كما زعموا من أحمق الدواب لأنهم إذا أرادوا صيدها
رموا في حجرها بحجر فتحسبه شيئا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ويقال
لها أبشري بجراد عظام وكمر رجال فلا يزال يقال لها حتى يدخل عليها رجل فيربط
يديها ورجليها ثم يجرها والجراد العظام الذي ركب بعضها بعضا كثرة وأصل العظام
سفاد السباع. وقوله وكمر رجال يزعمون أن الضبع إذا وجدت قتيلا قد انتفخ جردانه
ألقتة على قفاه ثم ركبته. قال العباس بن مرداس
ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت * ضباع بأعلى الرقمتين عرائسا
وبعد البيت

إذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثرى * وغودر عند الملتقى ثم سائري
هنا لك لا أرجو حياة تسرني * سحيس الليالي مبسلا بالجرائر

لأنه أراد فلا تدفنوني بل دعوني تأكلني التي يقال لها خامري أم عامر وهي الضبع . وقال أوس بن حجر .
حتى إذا الكلاب قال لها * كالיום مطلوب ولا طلبا
أراد لم أراك اليوم فحذف . وقال أبو داود الأيادي
إن من شيمتي لبذل تلادى * دون عرضي فإن رضيت فكوني
أراد فكوني معي على ما أنا عليه وإن سخطت فيني فحذف هذا كله.. والآخر
إذا قيل سيروا إن ليلى لعلنا * جرى دون ليلى مائل القرن أعضب
أراد لعلها قربت وهذا يتسع وهو أكثر من أن يحيط به قول. والحذف غير
الاختصار وقوم يظنون أنهما واحد وليس كذلك لان الحذف يتعلق بالألفاظ وهو
أن يأتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الوجود دلالة على
المحذوف فتقتصر عليه طلبا للاختصار والاختصار يرجع إلى المعاني وهو أن يأتي بلفظ
مفيد لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج إلى أكثر من ذلك اللفظ فلا حذف الا
وهو اختصار وليس كل اختصار حذفاً. فمثال الحذف قوله - ولكن خامري أم عامر -
ونظائره مما أنشدناه لان القول غير مستغن بنفسه بل يقتضي كلاماً آخر غير أنه لما كان
فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله. ومثال الاختصار الذي ليس بحذف قول الشاعر
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل (١)

(١) قوله - قبر ابن مارية - الخ. قال أبو عبيدة هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة وقال ابن الكلبي مثل قول أبي عبيدة ثم قال وقالت كندة جمعاء هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة وقال القعني بنت ظالم ابن وهب بن الحارث وقال ابن السكيت هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة. والبيت من قصيدة حسان رضي الله عنه المشهورة التي مدح بها آل جفنة ومطلعها
أسألت رسم الدار أم لم تسأل * بين الجوابي فالبضيع فحومل
ومنها لله در عصابة نادمهم * يوماً يخلق في الزمان الأول
ومنها يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الأول
ومنها ولقد شربت الخمر في حانوتها * صهباء صافية كطعم الفلفل
يسعي على بكأسها متنطف * فيعلنى منها ولو لم أنهل
إن التي ناولتني فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاها حلب العصير فعاطنى * بزجاجة أراهما للمفصل

أراد أنهم أعزاء مقيمون بدار مملكتهم لا ينتجعون كالاعراب فاختصر هذا المبسوط كله
في قوله حول قبر أبيهم. ومثله قول عدي بن زيد
عالم بالذي يريد نقي الصدر عف على حثاه نحور (١)
وفي معنى الاختصار قول أوس بن حجر
وفتيان صدق لاتخم لحامهم* إذا شبه النجم الصوار النوافرا
فقوله - لاتخم لحامهم - لفظ مختصر ولو بسط لقال إنهم لا يدخرون اللحم ولا يستبقونه
فيخم بل يطعمونه الأضياف والطراق. ومعنى قوله - إذا شبه النجم الصوار النوافرا -
يعنى في شدة البرد كلب الشتاء لان الثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كأنها صوار متفرق
وهذا أيضا أكثر من أن يحصى وإنما فضل الكلام الفصيح بعضه على بعض لقوة حظه
من إفادة المعاني الكثيرة بالألفاظ المختصرة. فأما قوله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة)
بعد ذكر الأسماء التي لا تليق بها هذا الكناية فالمراد به عرض المسميات لان الكناية
لا تليق بالأسماء ولا بد من أن تكون تلك المسميات أو فيها ما يجوز أن يكنى عنه بهذه

(١) - هكذا في الأصول التي بأيدينا ولم نقف عليه

الكناية لأنها لا تستعمل إلا في العقلاء وما يجرى مجراهم. وقيل إن في قراءة أبي ثم عرضها وفي قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح أن تكون عبارة عن الأسماء. وقد يبقى في هذه الآية سؤال لم نجد أحدا ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في متشابهه ومشكله تعرض له وهو من مهم ما يسأل عنه. وذلك أن يقال من أين علمت الملائكة عليها السلام لما أخبرها آدم عليه الصلاة والسلام بتلك الأسماء صحة قوله

ومطابقة الأسماء للمسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل إذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضيه لأنهم لما أنبأهم آدم عليه الصلاة والسلام علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله تعالى (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض) معنى ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لأن كل ذلك إنما يتم مع العلم دون غيره. والجواب أنه غير ممتنع أن تكون الملائكة عليها السلام في الأول غير عارفين بتلك الأسماء فلما أنبأهم آدم عليه السلام بها فعل الله في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات لها أما عن طريق أو ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تميزه واختصاصه وليس لأحد أن يقول إن ذلك يؤدي إلى أنهم علموا نبوته اضطرارا وفي هذا منافاة لطريق التكليف وذلك أنه ليس في علمهم بصحة ما أخبر به ضرورة ما يقتضى العلم بالنبوة ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ويجري هذا مجرى أن يخبر أحدنا نبي بما فعل على سبيل التفصيل على وجه تجري به العادة وهو وإن كان عالما بصدق خبره ضرورة

لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته لأن علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته لكنه طريق يوصل إليها على ترتيب. ووجه آخر وهو أنه لا يمتنع أن يكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته دون لغة غيره إلا أن يكون إحاطة عالم واحد بأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما أراد تعالى التنبيه على نبوة آدم عليه السلام علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما خبر به من الأسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه إلى الرجوع إلى غيره وعلم مطابقتها ذلك لباقي اللغات يخبر كل قبيل ولا شك في أن كل قبيل إذا كانوا كثيرة وخبروا بشئ

يجرى هذا المجرى علم صحة مخبرهم وإذا أخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك في لغة غيره ما علمته من لغته وهذا الجواب يقتضى أن يكون قوله تعالى (أنبؤني بأسماء هؤلاء) أي ليخبرني كل قبيل منكم بجميع الأسماء وهذان الجوابان جميعا مبنيان على أن آدم عليه السلام لم يتقدم لهم العلم بنبوته وأن إخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته لأنه لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا بقدوم ظهور معجزات على يده لم يحتج إلى هذين الجوابين معا لأنهم يعلمون إذا كان الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن لم يعلموا ذلك بقوله الذي قد آمنوا به فيه غير الصدق وهذا لمن تأمله بين بحمد الله

. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه رأيت قوما ممن تكلم على معاني الشعر يذكرون في بيت
حسان بن ثابت

لم تفتها شمس النهار بشئ * غير أن الشباب ليس يدوم (١)
ان المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكأنه قال - لم تفتها شمس النهار بشئ -
انها كبيرة طاعنة في السن وعذرها في ذلك ان الشباب ليس يدوم لأمثالها وهذا الذي

(١) البيت من قصيدته التي قالها بعد وقعة أحد يروي انه دعا قومه ليلا فقال لهم خشيت أن يدركني أجل قبل أن أصبح فلا ترووها عني ومطلعها
منع النوم بالعشاء الهموم * وخیال إذا تغور النجوم
من حبيب أصاب قلبك منه * سقم فهو داخل مكتوم
يال قومي هل يقتل المرء مثلي * واهن البطش والعظام سؤوم
همها العطر والفرش ويعلوها * لجين وحالك منظوم
لو يدب الحولي من ولد الذر * عليها لأندبتها الكلوم
لم تفتها شمس النهار بشئ * غير أن الشباب ليس يدوم
ان خالي خطيب جايية الجو * لان عند النعمان حين يقوم
وأبى في سميحة القائل الفاصل * يوم التفت عليه الخصوم
وأنا الصقر عند باب أين سلمي * يوم نعمان في الكبول مقيم
وأبي وواقد أطلقا لي * حين رحنا وكلهم محطوم
ورهننت اليدين عنهم جمعا * كل كف فيها جز مقسوم
وسطت نستبي الذوائب منهم * كل دار فيها أب لي عظيم
رب حلم أضاعه عدم ألما * ل وجهل غطا عليه النعيم
ما أبالي أنب بالحزن تيس * أم لحاني بظهر غيب لئيم
تلك أفعالنا وفعل الزبعرى * خامل في صديقه مذموم
ولى البأس منهم إذ حضرتم * أسرة من ذرى قصي صميم
تسعة تحمل اللواء وطارت * في رعا ع من القنا مخزوم

ذكروه ليس بشئ والأشبه والأولى أن يكون مراد حسان أن شمس النهار لم تفتها
بشئ غير أن شبابها مما لا يدوم ولا بد من أن يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم
يرد أنها في الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله يالقومي هل يقتل المرء مثلي*
واهن البطش والعظام سؤوم
شأنها العطر والفراش ويعلوها* لجين ولؤلؤ منظوم
لو يدب الحولي من ولد الذر* عليها لا ندبتها الكلوم (١)
وهذه الأوصاف لا تليق لمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بمثلها إلا الصبيان
والاحداث.. ومن العجائب أن هذه الاستخراج على ركائته مسند إلى الأصمعي وما
أولى من يكون نتيجة تغلغله وثمره توصل مثل هذه الثمرة بالاضراب عن استخراج
المعاني والبحث عنها.. ومما فسر أصحاب المعاني على وجه وهو بغيره أشبه وأقل
الأحوال
أن يكون محتملا للامرین ولا يقتصر على أحدهما قول الخنساء
يا صخر وراد ماء قد تناذره* أهل الموارد ما في ورده عار

(١) يقول لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لاثر فيه وجرحه ولم يرد
بالحولي ما أتى عليه حول ولكن جعله في صغره كالحولي من ولد الحافر والخف

لأنهم يقولون مرادها بالبيت ما في ترك ورده عار ويظنون انه متى لم يحمل على ذلك لم يكن له فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش ليس على طول الحياة ندم* ومن وراء المرء ما يعلم (١) وليس الأمر كما ظنوه لأنه يحتمل أن يريد انه لا عار في ورده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لان البيت وان تضمن ذكر ورود الماء غلبة وقهرا فكأنها قالت انك تورده ماء قد تناذره الصعاب التي من حملتها إيراد الماء غلبة وقهرا فكأنها قالت انك تورده ماء قد تناذره الناس وتركب أمرا صعبا قد نكل عنه الخلق ولك بذلك حظ الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لأنه ربما فعل الانسان فعلا يجوز به أكثر الحظ من الشجاعة وان لحقه بعض العار من قطيعة رحم أو نكث عهد أو ما جرى ذلك المجرى

(١) قوله - ليس على طول الحياة - الخ. قال الأصمعي أراد ليس على فوت طول الحياة ندم. وقوله - ومن وراء المرء ما يعلم - يقول من عمل شيئا وجده ووراء هنا امام من الأضداد قال الله جل ذكره (ومن وراءه عذاب غليظ) وقال الشاعر أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي* وقومي تميم والفلاة ورائيا أي امامي. قال أبو عبيدة ومنه قول الله عز وجل (وكان وراءهم ملك) أي امامهم هذا قول أبي عكرمة. وقال غيره ومن وراء المرء ما يعلم أي الهرم والكبر والضعف وكثرة العلل. و البيت للمرقش الأكبر واسمه عوف بن سعد وهو عم الأصغر والأصغر عم طرفة بن العبد وهو من قصيدة مطلعها هل بالديار أن تجيب صمم* لو كان رسم ناطقا كلم الدار قفر والرسوم كما* رقت في ظهر الأديم قلم ديار أسماء التي تبلى* قلبي فعيني مأوها يسجم أضحت خلأ نبتها ثد* نور فيها زهوها فاعتم بل هل شجنتك الظعن باكرة* كأنهن النخل من ملهم النشر مسلك والوجوه دنا* نير وأطراف البنان عنم

فكانها نفت عن فعله وجوه العار وليس يجري هذا مجرى قول المرقش - ليس على طول الحياة ندم - لان البيت متى لم يحمل على أن المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئاً وقد بينا فائدة قول الخنساء إذا كان المراد ما ذكرناه (مجلس آخر ٥٦)

[تأويل آية]. إن سأل سائل عن قوله تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن) الآية. الجواب قد ذكر في هذه الآية وجوه. أولها أن يكون المعنى واسأل أتباع من أرسلنا قبلك من رسلنا ويجرى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير يريدون السخاء حاتم والشعر شعر زهير وأقاموا حاتماً مقام السخاء المضاف إليه وقوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله) ومثله قول شاعر لهم مجلس سهب السال أذلة* سوا سية أحرارها وعبيدها (١) والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي عليه الصلاة والسلام وهو في المعنى لأمته لأنه عليه الصلاة والسلام لا يحتاج إلى السؤال لكنه خوطب خطاب أمته كما قال تعالى (المص كتاب انزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه) فأفرد الله تعالى بالمخاطبة ثم رجع إلى خطاب أمته فقال (اتبعوا ما أنزل إليكم) (فلا يكن في صدرك حرج) وفي موضع آخر (يا أيها النبي اتق الله) الآية فخاطبه عليه الصلاة والسلام والمعنى لأمته لأنه بين بقوله تعالى (ان الله كان بما تعملون خبيراً). وقال تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) فوحد وجمع في موضع واحد وذلك للمعنى الذي ذكرناه

(١) أي لهم أهل مجلس - وصهب - جمع أصهب أي في سبالهم صهبة وهي حمرة أو شقرة في الشعر - والسبال - بالكسر جمع سبلة بالتحريك وهي الدائرة في وسط الشفة العليا أو ما على الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها أو مقدمها خاصة ويقال للأعداء صهب السهبال - وأذلة - جمع ذليل - وسواسية - مستوون

. وقال الكميت

إلى السراج المنير أحمد لا تعدلني رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره ولو رفع الناس * إلي العيون وارتقبوا
لو قيل أفرطت بل قصدت ولو * عنفي القائلون أو ثلبوا
لج بتفضيلك اللسان ولو * أكثر فيك الضجاج واللجب
أنت المصطفى المحض المنذب في التشبيه إن نص قومك النسب
فظاهر الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمقصود به أهل بيته عليهم الصلاة والسلام
لأن أحدا من المسلمين لا يمتنع من تفضيله عليه الصلاة والسلام والاطناب في وصف
فضائله ومناقبه ولا يعنف في ذلك أحد وإنما أراد الكميت وإن أكثر في أهل بيته
وذريته عليهم الصلاة والسلام الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف فوجه القول إليه
عليه الصلاة والسلام والمراد غيره وبه لذلك وجه صحيح وهو أن المراد بموالاتهم الانحياز
إليهم والانقطاع إلى حبهم لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المقصود بجميع
ذلك جاز أن يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع. وقد قيل إن
المراد باتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أمر بمسألتهم أهل الكتاب كعبد الله
ابن سلام ونظرائه ولا يمتنع على هذا الجواب أن يكون هو عليه الصلاة والسلام المأمور
بالمسألة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وإن لم يكن شاكا في ذلك ولا مرتابا به
ويكون الوجه فيه تقرير أهل الكتاب به وإقامة الحجة عليهم باعترافهم أو لأن بعض
مشركي العرب أنكر أن تكون كتب الله المتقدمة وأنبياءه الآتون بها دعوا إلى التوحيد
فأمر عليه الصلاة والسلام بتقرير أهل الكتاب بذلك لنزول الشبهة عن اعترضته الشبهة
. والجواب الثاني أن يكون السؤال متوجها إليه عليه الصلاة والسلام خاصة دون أمته
والمعنى إذا لقيت النبيين في السماء فاسألهم عن ذلك لأن الرواية قد وردت بأنه عليه
الصلاة

والسلام لقي النبيين في السماء فسلم عليهم وأمهم ولا يكون أمره بالسؤال لأنه كان

شاكاً لان مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن لبعض المصالح الراجعة إلى الدين إما
لشيء يخصه عليه الصلاة والسلام أو يتعلق ببعض الملائكة الذين يستمعون ما يجري بينه
وبين النبيين من سؤال وجواب. والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتيبة وهو ان المعنى
واسأل من أرسلنا إليه قبلك رسلاً من رسلنا يعنى أهل الكتاب وهذا الجواب وإن كان
يوافق في المعنى الجواب الأول فيبينهما خلاف في تقدير الكلام وكيفية تأويله فلهذا صار
مفترقين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل إنه خطأ في الاعراب لان لفظه إليه
لا يصح اضمارها في مثل هذا الموضوع لأنهم لا يجوزون الذي جلست عبد الله على
معنى

الذي جلست إليه عبد الله لان إليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضم فلما
كان القائل إذا قال الذي أكرمت إياه عبد الله ولم يجز أن يضم إياه لانفصاله من الفعل
كانت لفظة إليه بمنزلة وكذلك لا يجوز الذي رغبت محمد بمعنى الذي رغبت فيه محمد
لان الاضمار إنما يحسن في الهاء المتعلقة بالفعل كقولهم الذي أكلت طعامك والذي
لقيت

صديقك معناهما الذي أكلته ولقيته (١) وقال الفراء إنما حذفت الهاء لدلالة الذي عليها

(١) هذا الكلام يحتاج إلى تبين لعدم إيضاح ما تضمنه والحاصل أن العائد
المنصوب يجوز حذفه إن كان متصلاً وناصبه فعل أو وصف غير صلة الألف واللام
فالفعل نحو يعلم ما يسرون وما يعلنون ويجوز في ما هنا أن تكون موصولاً حرفياً قليل
وشرط جواز حذف العائد المنصوب أن يكون متعيناً للربط كما مثل فلو كان غير متعين
لم يجز حذفه نحو جاء الذي أكرمته في داره فان العائد أحدهما لا بعينه وفيه نظر عند
صاحب التوضيح وشرط الفعل أن يكون تاماً فلا يجوز جاء الذي كأنه زيد على الأصح
ومثال الوصف قوله

ما الله موليك فضل فاحمدنه به * فما لدى غيره نفع ولا ضرر
بخلاف جاء الذي إياه أكرمت لأنه منفصل وحذفه يوقع في إلباسه بالمتصل ومفوت لما
قصد به من التخصيص وإنما حذف منفصلاً من قوله سبحانه وتعالى (ومما رزقناهم
ينفقون) والأصل رزقناهم إياه لان تقديره متصلاً يلزم منه اتحاد الضميرين المتحدي
الرتبة في ضميري الغيبة وهو قليل وبخلاف جاء الذي انه فاضل أو كأنه أسد لان اسم
ان وكأن المشددتين لا يحذف الا شذوذاً وبخلاف جاءني الضاربة زيد لان الوصف صلة
الألف واللام واسمية أل خفية والضمير إذا كان مذكوراً يدل على اسميتها نصاً فإذا
حذف فات هذا المعنى وهم بصدد التنصيص على اسميتها

وقال غيره في حذفها غير ذلك وكل هذا ليس مما تقدم في شيء فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد ما تقدم

آخر الجزء الثالث من كتاب أمالي السيد المرتضى ويليهِ
الجزء الرابع وأوله تأويل خبر والحمد لله أولاً وآخراً
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١٦٨)